

# درب المشاق

الحرية

للنشر والتوزيع

### **روايات أحلامي**

• روايات أحلامي سلسلة رومانسية

تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

• حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ت: ١٣٣٨٧٧٩٢١ .

• لا يجوز نسخ الكتاب بأكمله أو جزء منه بأي

وسيلة من وسائل النسخ والاقتباس

• كل شخصيات هذه الرواية من نسج الخيال،

وأي تشابه بين هذه الشخصيات وشخصيات

حقيقية تكون بمحض الصدفة

تقدم...



### «روايات أحلامي»

نهرأ منه الحب... الحب الذى يلوو الدنيا  
بالوان الريدج.. الحب حيث لا خريف أبدا..

الحب حيث الورد والراحيه..



حيث الحياة..

و روايات أحلامي... نسغم بالكلمات عنه زمه الحب

والأحبة في هذا النهر الجارى والرائج «نهر الحب»

فتعالوا لنبحر في نهر «أحلامي»

على أمواج الرومانسية.







## أول حب

تقدم آدم من البوابة، ينظر الى أسفل الطريق ليرى ما يحدث هناك. كان مساء من زمن الحصاد، سوف يستخدمون آخر شعاع من الضوء النهار على أمل الانتهاء من الحقل الكبير قبل حلول الظلام.

الحصاد اليوم، يختلف عما كان، وأصاب آدم الحنين الى الماضى. لم يعد يسمع وقع حوافر الجياد العائدة من الطريق، وأصوات اطارات العربة التى تحتاج الى الزيت، والمدهونة بالأحمر القانى و الأصفر الفاقع، واسم المزارع عليها، ورائحة الحصاد ملتصقة بخشبها.. لا شئ يبقى كما هو.. لقد كان المنظر أفضل فى أيامه الغابرة بطرق كثيرة. مع أن الفقر كان قاسيا، وغالبا ما بات ليلته وهو جائع.. القرش كان شدة له فى تلك الأيام واليوم يضحك الأطفال لسماعهم أسم القروش كل شئ تغير.. ولكن

الذرة لا تزال مليئة برائحة حلوة رطبة، وشجيرات السياج  
فى أيلول لا تزال تظهر بعض التوت الأحمر القاتم، وأوراق  
الخنشار البرونزية.

عيناه القويتان، ولو خف نظرهما قليلا، تطلعتا الى  
التلال فى البعيد، حيث شاهد أن الريح لم تتغير، وهذا  
أمر جيد ليوم جيد فى الغد، ولحصاء جيد.

واستدار عن البوابة ليعود الى منزله الصغير الشبيه  
بالكوخ وهو تعب قليلا. منذ عشر سنوات اشترى هذا  
المنزل. وكم كان فخورا أن يشتري (الكوخ) الذى ولد فيه!  
لقد كانت ضربة حظ موفقه، أن يموت المحترم العجوز  
فى اللحظة المناسبة، ويعرض الكوخ للبيع فى الوقت الذى  
كان آدم قادراً على شراءه. ولقد أنشأ فيه حمام مناسب..  
وموقد جيد للطبخ الخلفى، بدل ذلك الموقد الحديدى القديم  
الصدى الذى كانت أمه تستخدمه... لقد تغيرت الأشياء،  
وضحك لنفسه.

ودخل رأسا الى الغرفة، وجلس فى كرسى مريح ورفع  
رجليه على مسند خشبى... للقد أصبحت الحياة أفضل  
فى كثير من الطرق، وحمدا لله على هذا! ولم يجاهر  
بهذا القول، لأن الرجل الحكيم يبقى أفكاره لنفسه.

قسمات وجهه كانت بارزة، وعيناه الزرقاوان الشاحبتان  
غارقتان فى شبكة من الخطوط حولهما، حاجباه أبيضان  
وسميكان.. وكان شعره كثيفا لأبن الثمانين، ولا يزال  
وجهه وسيما... ويمكن أن يخطئ المرء بتقدير عمره  
للخامسة والستين.

ونظر عبر الستائر الجديدة التى صنعتها ابنته جوان  
فى الأسبوع الماضى. وأخذ يفكر.. ربما أحاط الزمن تلك  
السنوات بهالة من ذهب ولم تكن جيدة بالمرء. وتذكر  
ذراعا أمه الناعمتان تلتفان حوله، والراحة التى كان  
يحسها على صدرها، والشعور بالأمان، ومعرفة أنه يوما  
ما كان يتقوى من هذا الصدر، وحبه الكبير لها.  
التفكير فى الماضى ليس جيدا، لن يفيد بشئ.

وسمع صوت فتاة تسير على الطريق.. أنهم يدعون  
هذه الطريق (بالشارع) مع انها بعيدة عن هذه التسمية..  
صف من المنازل الريفية تحد الطريق بحدائقها الجميلة.  
ومن خلفها الممر. منذ اثنى عشر سنة كان لهذا الممر  
منعطف... ولكنه اختفى الآن.

الفتاة كانت ليديا، حفيدته، ابنه هارى.. أنهم يسمون  
الأولاد أسماء مضحكة هذه الأيام.. كان يتوقع قدوم ليديا

فى وقت أبكر، وهى تعمل فى مكتب فى البلدة القريية،  
تروح وتجئ على الدراجة. وكانت تشبه السيدة الأنيقة، ما  
عدا أن السيدات لا يعملن. وكرهت ليديا أى عمل يوسخ  
يديها الجميلتين، وكانت تكسب جيداً من عملها... وتصرفه  
حال أن تقبضه. فى هذه الأيام لا أحد يقصد. وفكر آدم  
العجوز بدفتر توفيره الذى اشتري لهم هذا المنزل. هناك  
أمل كبير بدفتر التوفير أكثر مما ينظر إليه شبان هذه الأيام.  
لقد بلغت ليديا الآن السابعة عشرة من عمرها. وتضع  
الكثير من الدهون المضحكة على وجهها، يكرها آدم  
بالطبع.. وكانت تثير إعجاب الشبان، انهم كما كانوا  
تماماً، وسيقون هكذا حتى بعد أن يموت. وأدرك آدم أن  
ليديا لن تدخل المنزل كما يجب عليها أن تفعل، فقد سمع  
رجلاً قريباً منها، يتحدث إليها... انه هيوغ بارتون.

هيوغ كان ابن رجل ثرى، وصل الى القرية ليرى اذا  
كان يريد أن يصبح مزارعاً. والداه كانا يدفعان أجره  
جيداً فى (المزرعة الحمراء) التى يملكها السيد جونسون.  
ولم يكن أحد، فى سره، يعتقد أنه قد ينجح فى هذا  
العمل. كان فتى جامعياً، ويقولون أنه ناجح فى دروسه.  
وهذا امر مهم جداً هذه الأيام، مع انه لا يعنى الكثير

لآدم العجوز.

هذه الأيام يحب الصغار المدارس، وهذا امر لم يستطع فهمه. كان قد ذهب الى المدرسة فى سن الخامسة وتركها فى سن الحادية عشر. حامدا الله على ذلك. وتذكر غرفة المدرسة الضيقة، وتلك الخرائط السخيفة على جدرانها، وذلك اللوح الأسود الوحشى، وتلك الجمل الصعبة المكتوبة فوقه والتي كان يكرهها.. كل ما تعلمه تلك الأيام كان القراءة و الكتابة والعد على أصابعه، وكان هذا يكفى لأجل دفتر التوفير الصغير عندما حصل عليه. ما كان يقرأه يقتصر على اخبار العالم فى صحيفة الأحد. وكتابته مقصورة على توقيع دفتر تقاعده صباح كل يوم اثنين.

ورأى آدم أن ليديا توقفت قرب الباب تحت شجرة صنوبر الطقسوس الضخمة القديمة. كان يريد دوما أن يقص هذه الشجرة السخيفة، فهي تسمم الأرض من حولها، ولا شئ سينمو هناك طالما هي موجودة.. ولكن، جدته هي التي زرعتها عندها وصلوا لأول مرة الى القرية من الطرف الآخر للنهار. ووالدته كانت فخورة بها، ولا يستطيع أن ينسى هذا. والشجرة هذه تعطى ظلالا لطيفة

فى مساء حار مثل هذا اليوم، وفى منتصف النهار كان  
ظلالها يحمى من الطقس الحار الخانق، وهذا أفضل شئ  
فى الصيف.

وشاهد الشابين يقفان هناك.

هيوغ كان يضع يده على ذراع ليديا العارية، فمعظم  
الفتيات لا يرتدين ثيابا باكمام هذه الأيام، ويبقى اللحم  
الطرى الدافء عرضة للمس. وهو يعرف كيف تغير هذه  
اللمسة الرجل، وقد يكون عجوزا، ولكنه رجل خبير.  
وشاهد النظرة المتفحصية فى عيني هيوغ. وكان يسأل  
ليديا شيئا، وإذا كان يسألها عما يفكر به آدم العجوز،  
فستكون غيبة لو قبلت.

وأخفضت عينها، وكأنتها خجلة، وجدها يعرف بأنها  
ليست كذلك. كان هناك شئ مريب فى تصرفات هذا  
الشاب وهو يحتها ثانية... وكانت ليديا تبدو مضطربة...  
ومن لا يكون مضطربا وهو يلعب بالنار؟

وقالت: (لا أستطيع) وسمعها جدها هذه المرة.

وتحدث هيوغ بصوت منخفض، ربما لأنه يعلم أن  
للجدران آذان، أن لديه الكثير ليخفيه. ولف ذراعه حولها

حتى أن حرارة جسده لامست حرارة جسدها. وضمها أكثر ووضع خده على خدها. ونظرت ليديا بسرعة إلى الخلف نحو المنزل، وكأنها خائفة من أن أحدا يراقبهما، ولكن آدم كان يعلم ما تقصده.

هيوغ يرغب فيها، وأدم عرف هذا. لأن الفتاة احمر وجهها، وارتجفت قليلا، ولم تكن واثقة من موقفها، فهي غير معتادة على الحب العملي كما يطلبه منها. نصف تفكيرها يريد اعطاء هذا الشاب ما يريد، ومع ذلك فالنصف الآخر خائف من النتائج. لقد كانت خائفة من تزمت أفكار القرية ومن الشائعات، والروتين السائد الذي يحرم أي استجابة للمطالب الآتية لقلبها.

آدم العجوز كان سيصبح بهما مويخا من النافذة لو انه في الخامسة والأربعين..

ولكن الرجل في الثمانين لا يصبح هكذا من النوافذ. فلقد تعلم أن هذا أمر غير لائق. فلو منع ما يجري الآن، لعاد إلى البروز مرة ثانية. لا شيء يمكن أن يوقف مسيرة هذا العالم عندما تبدأ، وعلى كل الأحوال، هذه معركة ليديا وليست معركة.

ورفعت يديها الجميلتين الصغيرتين، اللتان تداوم على

دهنهما بطلاء الأظافر و التي يكرهها آدم. وقالت بصوت مرتفع:  
هيوغ؟ من الواضح انه كان يطلب منها شيئاً. وكان  
ضوء النهار لا يزال موجوداً، ولكن في القريب سوف  
يتلاشى، وسيبدأ الضباب يتصاعد من التلال. والضباب  
لا يتواجد هناك خلال ايار وحزيران، بل انه يبدأ في  
أواسط تموز، وبتزايد مع قدوم الخريف، ليلقى ستراً  
ناعماً هو جنة للعشاق. وكان العجوز يعلم انهما سوف  
يذهبان بخطى سريعة الى درب العشاق، التي تلتف عند  
نهاية الطريق.. وهذه الطريق لم تكن سوى فسحة  
خضراء معشوشبة عندما كان صبيها، ولكنها الآن طريق  
حقيقية. ويستطيع الفتى والفتاة الجلوس هناك ليشاهدا  
النجوم و يستطيع آدم أن يجزم أن كل العشاق مروا بهذا  
المكان في وقت ما. البعض ندم والبعض يتذكر بانها  
كانت أجمل ليلة مرت في حياته.

وهو بنفسه ذهب الى هناك مع أدبث.

ولكن، نسل آدم يجب أن يفكر قبل كل شئ بالزواج.  
لأن ما من شراكة يمكن أن تدوم دون بركة الزواج. ودون  
تلك البركة لا شئ في محله. مع انه في هذه الايام  
العصرية لا يفكر الكثيرون بهذا. ومع ذلك فموثق الزواج



الجديد، السيد لويس، رجل جدير بالاحترام ليستلم مثل هذه المسؤوليه. ولقد أحب آدم السيدة لويس الصغيرة الجسم، ففيها شئ يميز عن مثيلاتها.

هذه الأيام يهجم الشبان على الحب، بطريقة لم يفعلها جيله أبداً. والفتيات لا يمانعن في أن يحملن حتى... ولا يهتمين بما يحدث للطفل المسكين دون أب.. انه زمن كل شئ فيه مسموح ولم يكن آدم ليظن أن هذا أمر لائق أو صحيح. انه يفضل أحكام الموت القديمة، والدينونة، والجحيم.. وشاهد ليديا الشابة تنتزع نفسها من قبضة هيوغ بحركة حادة. مما بدا انها خائفة. وقالت بسرعة:

- حسناً.. حسناً.. ساكون هناك، ولكنني لا أستطيع البقاء معك الآن، فقد يرانا جدى. وأنت تعلم كم انه عجز متزمت! واستدارت نحو المنزل وسمعتها آدم تركض قرب الحائط عبر الممر، ثم الى الباب الخلفى.

وترك النافذة ليذهب الى لقائها عند الباب. ووقف يحدق فيها. كان هناك أثر على بشرة رقبتها حيث كان هيوغ يقبلها، وكنتها الوشم. ولم تكن تدري أن هذا ظاهر على رقبتها. النساء في أيامه كن يخفين مثل هذا الأثر

بسرعة، ويخجل.. ولكن.. اوه .. لا.. ليس فى هذه الأيام!  
فلم تعد الأمور التى كانت تهم.. تهم الآن.  
هل أحضرت لى الفطيرة التى طلبتها منك؟  
اجل.. ثمنها أربع بنسات.

اربع بنسات ثمن مرتفع لفطيرة.  
لقد ارتفع سعرها.. كل شئ ارتفع سعره!حتى تلك  
البلوزة التى كنت أريدشراها من محل (هود جونز).  
لم يعرف انها تريد بلوزة جديدة، فليدها الكثير من  
الثياب ولا يمكن أن يصدق انها تريد المزيد.. والدته كانت  
ترتدى الثوب لثلاث سنوات. أديث، زوجته كانت مقتصدة  
فى الملابس أيضا، وكذلك ابنته جوان. وأعطاهما المال..  
فأخذته منه حتى دون أن تقول شكراً، وخرجت كالبرق،  
وتبعها الى الفناء وهو يصيح.

ليديا؟

وماذا تريد الآن؟

ليديا.. لا تذهبي! لا تذهبي يا فتاتي، ليس من الحكمة  
أن تذهبي! الضباب قادم والعشب سوف يصبح مبللا،  
وهذه ليست ليلة مناسبة لدرب العشاق.

وحدقت به ليديا غير مصدقة.. مع شئ من الأمتعاض،  
ثم قالت له كلمة يعتبرها هوشتيمه، ولكن الجميع الآن  
يستخدم مثل هذه الكلمات، حتى الفتيات، ولايجرؤ أحد  
أن يرد بكلمة واحدة. وهذا مثير للمزئد من الأسى!  
وراقبها وهي تتبعد، ثم عاد لياكل الفطيرة.

كان يعيش وحيدا في كوخه، ويحب الحياة هكذا. ابنه  
هارى متزوج ويعيش على بعد أربعة منازل منه، زوجة  
هارى كانت تأتي لتخدمه. ابنته جوان تصادقت مع  
السيدة هاوكنز وتلازمها في مزرعتها البعيدة عن  
الطريق، وكان يظن أن من الغريب ان تتعلق امرأتان  
ببعضهما هكذا، ولكن يبدو أن السيد هاوكنز لا يمانع..  
وجوان سعيدة هناك أكثر مما كانت سعيدة هنا. وهو  
شاب كان يؤمن أن مكان الابنة هو مع والدها، وخاصة  
إذا كان أرمل. وإذا كانت تحب السيدة هاوكنز، فلا بأس،  
أما هو فلن يحبها أبداً، فهو يكره صنفها المسترجل،  
بجسدها العريض والتنانير الضيقة وأحياناً البنطلون. ولم  
يكن جسدها يناسب ارتداء البنطلون، ولم يحب أبداً  
الصوت الأجهش في النساء، ولكن جوان أحببتها منذ  
البداية. أما هو.. فقد وصل الى تلك المياه الهادئة التي

لا يمكن له فيها سوى انتظار النداء...

مجرد الانتظار للنداء...

وأنتهى شرب الشاي، ثم خرج من البوابة إلى الشارع، وكان العمال يخرجون الحصاد الكبيرة من البوابة المقابلة. وسمع أصوات الرجال وعلم أنهم متعبون. ولكن ممتنين في نفس الوقت أن عملهم قد انتهى قبل حلول الظلام. وأحس بصلة ما بين الطفولة والكهولة.. ومهما ظن الناس، الطفل لا زال في نفسية الكهل. ولم يعد في هذه الأيام يعمل لدى السيدة كروس، بل كان يقسم وقته بين عائلة بينيت ومنزل القسيس، فباستطاعته اختار رب عمله على هذه.

وكان يأتي إلى بيت القسيس ليقوم بعمل الأشياء الغريبة المتنوعة للسيد والسيدة لويس، التي غالباً ما كانت تدفع له من مصروفها الخاص، لا شيء كثير، وإنما كالهديّة بين الأصدقاء. وللسيدة لويس اسم غريب (فيلوميل) وكان آدم يحب هذا الاسم، كما يحب كروان الليل وهو يغنى في الوديان في شهر نيسان. ويدخل إلى الأسطبل حيث كان الحطب مكس بانتظار تقطيعه. ووقف يتسأل عما تفعله ليديا الآن، وما إذا كانت قد

ذهبت الى درب العشاق، ولكن بالطبع ستذهب، لأن  
العشاق يذهبون دائما الى هناك. وتسأل عن النوع من  
الشبان الذى يكونه هيوغ بارتون. لا بد أنه من النوع  
المستعجل، فكل الشبان هكذا هذه الأيام، ويتوقعون أن  
يحصلوا على الأرض كلها مكافئة لهم. وابتسم لنفسه.  
لقد أوصلته الحياة الى فلسفتها المتفهمة، وأدرك أن كل  
الشبان يجب أن يشقوا طريقهم بأنفسهم. وكل انسان  
يجب أن يواجه مخاطر الحياة، وأحيانا نيام المرء معها،  
وأحيانا ينجو البعض من عقوبات الحياة الأقسى، وكـم  
تمنى أن تنجوا هذه الصغيرة السخيفة ليديا.

وفجأة أحس برائحة الحطب الرطب تعبق في المكان،  
وأخذ يفكر بشابه وبالفتاة أيمى كينغزتون أول حب له،  
وكان هذا قبل وقت طويل من حبه لانيث، أو من تفكيره بالزواج.  
وتلك الليلة، كان درب العشاق ولا أحلى، وأيمى  
كنيغزتون بين ذراعيه فوق العشب الندى. لقد كانت الفتاة  
حارة ومتشوقة، وكان آدم يحبها. وعض على زاوية  
شفته، عندما يكون الانسان غارقا في الحب لا يعود أى  
شيء آخر يهم. وتمنى للصغيرة ليديا تكل السعادة.

## أحلام ضائعته

أظن، اننى سمعت آدم يعمل فى قطع الحطب... .  
هكذا قالت فيلوميل لزوجها وهى تجلس أمام نولها،  
ولم تكن تعمل فيه حادة، بل ليلهيها عما تفكر به. وكان  
زوجها رجل شديد النحول، وحفرتين كبيرتين على جوانب  
فمه، وبشرته متجعدة بعمق، وعينان سوداوان.. وقطع  
قراعه وأجاب:

أنت تتخيلين الأشياء يا فيل.. تسمعين أصواتا غير  
موجودة. أنا لا أسمع شيئا.

هناك شخص يقطع الحطب، ولا بد أنه آدم، سأذهب لأتأكد.  
وخرجت من غرفة الجلوس ومرت عبر غرفة الطعام، ثم  
الى خلف المنزل. بالنسبة لها بيت القسيس هذا كان منزلا

قديمًا وله بعض الأشباح الخاصة به.. شبح راقصة بالية،  
شبح حبيب ضائع، شبح مقطوع الأصابع كان يمسك  
أحيانًا بطرف ثوبها، وصوت غريب مخيف، يصدر عندما  
تهب الريح وكأنه مقبل من ناحية معينة، يدعوها باسمها.  
وما أن فتحت الباب الخلفي حتى سمعت صوت التحطيط  
بوضوح أكثر. وعلمت قطعًا أن آدم هناك... وأحسست  
فيلوميل بالاشتياق للمغامرة.. وخافت من نفسها.

آدم هنا.. وفتحت حقيبتها لتخرج قطعة نقدية له.  
سوف تدفع له اليوم. سيوفر هذا على تشارلز. وليلة أمس  
لم يكن لديها مال، فلطالما تركها زوجها مقطوعة. وبدأ  
شعرها أكثر شقارًا في ضوء المطبخ، فالشمس كانت لا  
تزال ترسل آخر أشعتها، وتحولت عيناها إلى البني  
الفاتح. في يوم من الأيام أرادت أن تكون راقصة بالية،  
ولديها الوجه الجميل لأن تكون. ووقع حادث لفصل قدمها  
وضع حدًا لطمها عندما كانت في العاشرة من عمرها.  
ولكنها كانت تحب الناس، وتحب الحياة.

كانت في الثامنة عشرة عندما قابلت انطوني دانقرز  
في حفلة راقصة، دبرت لها اللقاء عرابتها. وكان انطوني

فى زياره لبلدنها، فى الخامسة والعشرين من عمره،  
مهندس شاب يقف على حافة مستقبل باهر لحياته.  
ووجدته ساحراً جداً، ربما لأنه أول شاب تقابله، وربما  
جمالها الذى أخذت تكشفه حديثاً هو الذى أوحى لها  
بهذا. وأخبرته أنها تعمل فى عيادة طبيب أسنان، فقال ضاحكاً:  
أمل أن يكون يدفع لك أجراً جيداً!

وعندما أخبرته عن الأجر ببراعة الشباب قال ساخراً:  
أنت سخيقة يا حلوتى.. بإمكانك الحصول على أكثر.

جزء منه جعلها تحس بأنها كبتر، وتقريباً نضجت.  
ولم تكن تلك الليلة طويلة، ووجدت صعوبة فى اقناع  
نفسها بالعودة إلى المنزل. وجاء انطونى ليراها فى اليوم  
التالى .. كان أمامه خمسة عشر يوماً يقضيها مع جدته  
العجوز هناك. وبالنسبة لها كانت خمسة عشر يوماً  
رائعة. للمرة الأولى هناك شاب يلاحقها، ولأول مرة  
تحصل على قبلة. وبغيباء تام، ظنت أن هذا هو حب  
عمرها كله، وسيبقى إلى الأبد. فى نهاية الأسبوعين عاد  
إلى لندن. دون أى كلمة وداع. لابد إنه سيكتب لها. ويعد



مدة طويلة أحسست بأن هذه العلاقة قد ماتت مثلها مثل  
مئات العلاقات للفتيات الصغيرات، ومن الجنون التفكير بها.  
وصنعت فنجان شاي للعجوز آدم. وأخذته إلى مخزن  
الحطب. وهي تقطع الفناء، كانت تسمع ضربات فأسه  
المنتظمة .. وأحسست وكأنها عادت شابة من جديد. ويكثر  
من الأوجه كانت أصغر من عمرها بكثير.. كما هو آدم..  
ومن نواحي كثيرة أيضاً، أصغر من عمره.

لقد جلبت لك بعض الشاي يا آدم.  
واستوى في وقفته من وضعية تستيف الحطب، ببطء.  
وابتسم لها.

شكرا لك يا سيدتى ..

لا تعمل جاهداً. لقد أصبح عندي ما يكفي من الحطب  
حتى الآن. ولا حاجة لى بالمزيد.

أحب العمل الجاد.

بطبيعته، كان العجوز نشيطاً، يرفض الاعتراف  
بالقيود التي وضعها عليه الزمن.

هل كنت تعمل طوال حياتك يا آدم؟  
لقد عملت فى حراثة الأرض أنا فى الحادية عشرة، يا  
سيدتى.

لا بد أنك كنت تمشى العديد من الأميال كل يوم.  
فضحك، وكأنما الذكرى تسلية:  
فى الفلاحة، يمشى المرء حوالى ثمانية عشر ميلاً فى اليوم.  
ثمانية عشرة؟ بالتأكيد لا؟  
بل ثمانية عشرة.

ولا بد أنها بقيت لفترة تحقق به، لأنه انتظر، ثم قال:  
سأشرب الشاي الآن. كى تستطيعى أخذ الفنجان  
معك، سيدتى.

لا .. خذ ما شئت من وقت.  
ثم، ولأحساسها إنه يريد هذا، استدارت لتخرج وفى  
أنفها عبق الياسمين.  
وراقبها وهى تعود إلى المنزل، وقال لنفسه أن هناك  
شيئاً فيها لا يفهمه تماماً، شئ مغلق قليلاً.

ودخلت فيلوميل إلى مطبخها .. لقد تزوجت تشارلز  
لويس عندما كانت تقف على مفترق طرق في حياتها.  
وربما لا تكون مثل هذه اللحظة حكيمة أبداً، والقبول بمثل  
هذا ليس بالأمر الجيد.

التقت به عند زوجة المحامي المحلي وقت تناول الشاي  
عندها. والسيدة ثروب كانت في منتصف عمرها، ثرية  
ولطيفة جداً. وشرحت لها أن تشارلز ابن عمها وكبير في  
السن بالنسبة لها.

إنه في السابعة و الأربعين.

فقال فيلوميل:

أجل هذا عمر كبير حقاً.

وكانت هي في الخامسة والعشرين، وقد ملت حياة  
البلدات الصغيرة، وسئمت الروتين المنزلي. ولم تكن مقربة  
من والدها .. وكانت تغار من الحب الذي يبديه بعض  
الآباء لأولادهم.

وأقبل تشارلز إلى الحديقة لينضم إليهما لتناول  
الشاي تحت إحدى الأشجار. وكان كاهنا .. ليس طويلا

ويبدو أكثر سواداً ببذلته السوداء الرسمية. ورغم نحوله كان له أجمل ابتسامة .. وتحديثاً ووجدت أن تشارلز كان له حياة متعقفة، يذهب إلى المعبد كما كان يفعل أباه وجده من قبل، حتى إنه مرة فكر أن يكون راهباً. ثم قرر أنه قد يقدم الخدمات للناس أكثر وهو كاهن.

ولم يقل لها إنه ككاهن قرية صغيرة كان يعاني العواصف، فعليه أن يكون المعلم، وهو شغوف بأن يضع قوانينه الخاصة موضع التنفيذ، فهو يؤمن إيماناً قاطعاً بصدق آرائه.

بعد حبها، لأنطوني، كانت تنطوي بعداً عن الشبان، خوفاً من أن تتألم ثانية. فقد كان أول حظها في الحب تعيساً. وكان تشارلز سيقم لفترة مع ابنة عمه، وقال إنه سيدرب فيل على التنس. حتى يمكن لهما أن يدخلا المباراة المحلية معاً. وكان هذا نوعاً من المرح لم تجربته من قبل. وتزوجته، وكان لها واحدة من تلك الاحتفالات الطقسية الجميلة. وذهبا ليقضيا شهر العسل في (كورنويل) حيث لم تذهب من قبل. ولكنها لم تكن تعلم أن عمله كان في تلك المقاطعة.

ونصحهما صديق لتشارلز أن يحجزا فى منزل صغير  
لاستقبال الضيوف بدلا من الفندق. ولم يكن استقبال  
صاحبة المنزل لهما لائقا فلدى طلبه منها بعض الكماليات  
لغرفته قالت بجفاء:

لا يمكن لك أن تحصل على كل شئ. الكماليات للغرف  
التي من الدرجة الأولى .. وأنت حجزت غرفة فى مؤخرة المنزل.  
ولم تتحمل الفتاة الحساسة هذا، فانهارت بعد أن  
خرجت السيدة، فوق السرير القديم البشع، وبدأت تبكى..  
وكان تشارلز لطيفاً جداً معها فأقبل بطيب خاطرها.  
وتعلقت برقبته، وعن قرب، لاحظت أن وجهه فيه الكثير  
من الخطوط .. إنه فعلا أكبر منها بسنوات كثيرة، إنه  
بعمر والدها تقريبا.

ما الأمر؟

انت ترتدى ثيابا مضحكة يا حبيبى.

إنها ثياب الكاهن. ولا أستطيع الاستغناء عن الياقة المرتفعة.  
وعندما خلع الياقة، بدا لها مختلفا، ولم تستطع معرفة  
إذا كان هذا الاختلاف يعجبها أم لا، بوجود هذه الحفر  
والتجاويف فى لحمه، كذلك الخطوط التى كالأخاديد.

واستحمت فى (طشت) حديدى قذر، رائحة الصابون  
الجاف تعيق منه. لا بد أن أحداً لم ينظفه منذ زمن بعيد،  
والمناشف كانت وسخة وممزقة. وكانت تأمل بشئ أفضل  
من هذا، وخاصة تلك الليلة.

وخرجت من الحمام لتجد أن تلك المرأة المرعبة قد  
أطفأت أنوار المنزل. ثم وجدت أن تشارلز قد لها باب  
غرفتهما كى ترى طريقها. وكان ينسجم لها .. كم هو رجل  
عطوف! إنه رجل لطيف جداً! وذهبت إليه ..

كان يرتدى بيجاما قبيحة جداً، لونها بنى غامق ولا  
تفصيل ظاهر لها. رقبته كانت محروقة اللون من أثر  
الشمس، ولها خط مستقيم يحددها من الأسفل، حيث  
يبدأ اللحم الأبيض وكأنه العقد الغريب.

هل كان الحمام جيداً يا عزيزتى؟

أجل.

وأزاح أغطية الفراش لها، فدخلت إليه، لتجد إنه  
قاسى .. ومتلبد .. كان وكأنه فراش يستخدم على البحر،  
ويمثل كل أنواع الاضطرابات.

لقد اعتقدت إنك قد تخافى من الظلام، فأنتى ببعض

الشمع معى.. لا تخافى لن يؤذى نورها نظرك.

كم هو رجل عطوف!

وقبلها ببرود .. وأحسست وكأنها صدت إلى قمة تلة  
عالية، وتنتظر لحظة الانتصار، حيث، وبعد الخطوة  
النهائية، تستطيع النظر إلى المنظر الذى يقع أمامها.

- مراسيم الزواج أتعبتني.. والرحلة كانت طويلة.. لم  
يكن لى فكرة أن كرومويل بعيدة هكذا.

أعلم .. حسنا .. أنا تعب أيضا. لقد كان يوما مرهقا.  
ومن الأفضل. ومن الأفضل لكلينا أن ننام.

واستدار إلى جانبه.

ولم يكن هناك منظر جميل كما تكون قد وصلت إلى  
قمة التلة... ولم ترى سوى الضباب، والرطوبة، وارتباك  
التفكير، وبداية الجوع و الاشتياق، والتحرق فى أعماقها..  
وتعمق تنفس تشارلز، وتساعد صوته، حتى ظنت أن  
هذا الفراش سيكون قبرها، لا يمكن له أن ينام هكذا،  
ويدأ يشخر، وبالنظر إليه وجدت أن فمه مفتوح بشكل  
بشع، ومرخى عند أطرافه و كانه المزرة المفتوحة. وبدأ

الشخير يتصاعد .. ولم تعد تستطيع تحمل أن ترقد هكذا  
تستمع إلى هذا الصوت الرهيب .. ثم أدركت أن عليها  
أن تتحمل وربما إلى الأبد.  
ولم تستطع النوم أبداً.

في الليلة الثالثة، لشهر عسلهما، غير المثمر.  
استجمعت قواها وتحدثت إلى تشارلز حول الأمر. كانت  
تحس أن هذا خنجر مفروز في ظهرها، أمر لا يمكن  
تحمله، أمر لا يمكن أن تفهمه، وعليها أن تخرج الخنجر  
من مكانه، أو أن تتركه ليحطمها. ومع أنه لا يؤلمها فليده  
القدرة على تحطيمها.

كانا على الشاطئ، وربما لم تكن البقعة مناسبة،  
ولكنها كانت متوترة الأعصاب بحيث لم تعد تستطيع  
الانتظار إلى أن تجد المكان الملائم لبحث أخطر شيء  
سيؤثر على حياتها. خلال الأيام الماضية كانت تقنع  
نفسها. بأن تكون فتاة غير عادية، وكرهت نفسها للشوق  
الذي تحس به. وربما تشارلز لا يربط بين ما تفكر به وبين  
الزواج. ولكن من ناحية أخرى ليس هناك أصعب من  
محاربة الصمت. وقالت بلطف:



زواجنا ..

هل أنت سعيدة به يا حبيبتي؟

أجل .. أجل ..

وكانت كاذبة، فهي لم تستطع أن تجبر نفسها على أن  
تؤلم هذا الرجل الطيب. وأضافت:

إنما يبدو لي أنه غريب بطريقة ما.

غريب؟ ولماذا غريب؟ لست أدري لماذا هو غريب.

وأجبرت نفسها أن تصل إلى النقطة المهمة.

كنت أحب أن أحصل على أطفال.

وصمت للحظات، وظنت أنه قد خجل، ولكنه قال:

ربما سنحصل على أطفال .. يجب أن ننتظر لنرى.

فالجواب يقع في يد قوة أكبر منا ومن ارادتنا.

ولكن ..

أتعني أنك قلقة .. علينا؟

قلقة جداً يا تشارلز.

ويدأ يلقي عليها العظاا بصوته الرائع للعظاا:  
ربما أكون رجلا غريباً يا فيل .. أنا آخذ وقتى كى  
أفعل أى شئ بتؤدة.  
ثم أردف بصوت يغلب عليه الحياء.  
- أنا لم أرغب فى أية امرأة من قبل كما يفعل  
الرجال.  
ماذا تستطيع أن تقول؟ لقد اكتشفت إنها هى، فى  
أواسط العشرين من عمرها، تعرف عن الحياة أكثر بكثير  
منه وهو فى أواخر الأربعين، الرجل المتحذلق الذى يعظ  
الناس. وفكرة إنها تفهم الحياة وهو لا يفهم، كانت مثيرة  
للغضب.  
ونظر إليها ثانية، ويدا متفوقاً:  
أخشى يا عزيزتى أن يكون علينا تقبل الحياة كما  
يوفرها الله لنا.  
ولكن هذا ما لا تقوله عظة الزواج .. إنها تقول أكثر.  
ونحن قد وعدنا..

وأحست أنها تقف على خيط .. كالخيط الذى يفصل السفينة عن الشاطئ، خيط بدأ فجأة يكبر ويعرض، ويمكن أن يصل إلى عرض المحيط .. وأرعبتها الفكرة. وقال لها وهو يقف:

- من الجيد إننا سنعود غداً إلى ديارنا.

وعادا فى رحلة متعبة إلى بيت القسيس. حيث لم يكن المكان المناسب لأخذ عروس شابة إليه. وتقريباً، فى الحال، أصبحت فيلوميل مريضة، قال الطبيب أولاً إنه بسبب انهيار أعصاب، ثم قال إنه نوع من فقر الدم وعالجها لذلك. ولكنها لم تثق به أبداً.

وتحسننت صحتها، ولكنها بقيت حزينة وسئمة، ولا تنام جيداً. ماذا تستطيع أن تفعل؟

إنهيارها الثانى، ساعدها أكثر، لأن الطبيب هذه المرة كان شاباً، وفهم تماماً ما بها. عرف على الفور، ودون أن تقول له، وهذا ما أحست بالأمثتان له. وهو من أصر على أن يغادرا لندن مهما كلف الأمر. وأن غلى تشارلز أن يحاول الانتقال إلى مكان ما فى الريف، واقترح أن يناما

فى غرف منفصلة، ولام تشارلز على شخيره وشرح له أن النوم أمر حيوى لصحة فيلوميل.

وعندما اقترح الطبيب بعض الفحوصات والعلاج له غضب وأقفل الباب فى وجهه .. أبوه وأمه ناما فى فراش عتيق مزدوج طوال حياتهما، وهو سيفعل الشئ نفسه .. ولم يكن يعلم بأنه يشخر، ولن يصدق هذا .. ولم يكلمها لما يقارب الأسبوع .. وأخذ يعاملها كما يعامل الإنسان الحيوان .. وأمضت أيامها تبكى. وعندما كلمها أخيراً، كان يقول لها إنه استقال من منصبه هنا.

وأين سيذهب؟

ولم يرد عليها.

وبعد خمسة عشر يوماً سمع تشارلز عن وظيفة خالية فى الريف البعيد فى قرية تدعى (بلاك) وأحببتها فيل منذ اللحظة الأولى .. وقرية (بلاك) تبدو فى أوج جمالها فى شهر تموز، وكان المكان وكأنه من أرض الأساطير الخرافية. ثلاثة سنوات من الزواج منه علمتها إنه قد يكون غاضباً جداً منها، على الرغم من عدم إظهاره لهذا

بالطرق العادية. كان له نوعا من القساوة تنتاب، تصميم متجههم، وقساوة فولاذية لا تلين بسهولة.. وكانت تشعر باستمرار إنه والدها، وليس زوجها. كان دائما المتفوق.. ولكنه رجل لا يفهم أبداً متطلبات الجسد.

مأساتها، إنها لم يكن لديها من تلجأ إليه لتحديثه عن مشاكلها. إضافة إلى أن الوحدة التي كانت تعاني منها هي من النوع الذي لا تستطيع الأفضاء بسنره إلى شخص ثالث، كى لا تنكشف الحقيقة. والحقيقة هي إنها لم تصبح زوجة لتشارلز أبداً.

وقابلت آدم عند أول أسبوع لها فى (بلاك) .. سمعت شخصا يرق الباب الخلفى، وذهبت لترى من هو.

- صباح الخير سيدتى .. أنا معتاد على القيام بالأعمال المختلفة الغريبة.. إضرام النار، التحطيط، العناية بالخضار، وإدخالها إلى المنزل وتنظيفها وما إلى ذلك، وأسأل ما إذا كنت ترغبين فى خدماتى.

ونظرت إلى عينيهِ الزرقاوين كمياه البحر. إنه عجوز أكثر مما تتصور، ولكنه متغلب على السنوات بشجاعة.

وأعجبها منذ البداية، وانجذبت إليه، وهناك أشخاص فى الحياة يجذبونك إليهم.

أنا واثقة إنك ستساعدنا كثيرا ..

• وأخرج يده من وراء ظهره، ولم تكن قد لاحظت هذا، وفيها باقة زهر جميلة جداً.

هذه لك سيدتى .. أحضرتها لك. إنها طازجة وستدوم طويلاً. أعدك بهذا.

كم هذا لطيف منك!

بعدما علمت علم اليقين إنها منجذبه لهذا الرجل منذ لحظة فتحت له باب المطبخ، لتجده واقفا هناك. وأغاظها تصرف تشارلز حياله، فقد قال انه مجرد عامل بسيط وأنه من جيل رجال كلهم عمال، لا ثقافته لهم، ولا مهارات خاصة بل مجرد رجل ولد فى هذه البقعة من الأرض وسيدفن فيها بعد أن يموت وأصر تشارلز أن موته لن يكون بعيداً.

ولكن انطباعها عته عندما شاهدته يعمل، قال لها إنه سيعيش كثيراً. فهو لم يكن يتردد أبداً فى أى عمل.

وعلمت أنها تستطيع الثقة به.

ونظرت الفتاة إلى المراعى والحقول المليئة بالضباب..  
إنها فى الثامنة والعشرين من عمرها، وليس وراءها أى  
شئ! بل أسوأ من لا شئ! وفكرت بزواجها، بآمالها،  
برغباتها، بالسعادة التى كانت واثقة مرة إنها سيأتى،  
عندما لا تعود خائفة أو خجولة. وفكرت بالرجل الذى  
يشخر طوال الليل، واللطف جداً معها، حتى أن طيبته  
أحياناً تجعلها تبكى، ولكنه لا يمكن أن يكون زوجها أبداً.  
ثم، وبمقارنة بشعة، فكرت بحرارة الحب، ورقة المشاعر،  
والأبتهاج و استدارت بسرعة .. ثم عادت إلى المنزل ..  
سيكون الأمر أسوأ. مما هو عليه فى الربيع .. فالأشتياق  
يكون أعظم عندها .. أكبر بكثير.

## خائفة من شئ ما

أنهى آدم عمله، وحمل كومة حطب التدفئة عبر الفناء إلى الباب الخلفي، ووضعها هناك كي تدخلها فيلوميل في الصباح. ويتصرف لم يدر لماذا قام به، وضع غصن الياسمين فوق كومة الحطب. فقد خالجه شعور بأن الفتاة ستعجبها رائحته.

ثم استدار ليخرج من البوابة، ويتجه إلى منزله لم يكن مستعجلا. ولديه سيكارة يخبئها لمثل هذه الساعة. فهو لا يستطيع تحمل شراء الكثير من السكاثر، وقد اعتاد طوال حياته على التشحيل من مصاريفه، ولا يتذكر مرة أنه استطاع أن يصرف قدر ما يريد. حتى ولو ربح في (اليانصيب) وهذا حلم حياته، فلن يعيش في إسراف. وفي هذه الأيام لا مجال لأن يجوع، وكل شئ مرتب أمامه



للحياة، وكان راضياً بكل شيء كما هو، وإذا وصل النداء... فهو مستعد له.

كان واثقاً من دخوله الجنة، ومن وجود أبواب من اللؤلؤ وشوارع من ذهب، وليس لديه أى شعور بالاضطراب. وكانت العتمة تهبط بسرعة الآن، وأصبحت غالبية أكثر من النور، والقمر يعلو، ولعت بعض النجوم التى تعد بنهار جميل فى الغد. وأدم يؤمن بهذه الظواهر أكثر من إيمانه بالنشرات الجوية التى تذاغ على الراديو.

ووصل إلى مزرعة جوزيف هاوكنز، وهى أصغر من الأخريات فى القرية، يتقدمها بستان تفاح رائع.. ولدى الهاوكنز الكثير من الديوك الرومية هذه السنة، وسيبيعون الكثير منها عندما يحل الميلاد. ولكنه يعلم أن اطعامها يكلف كثيراً هذه الأيام، فالعلف الذى كان يكلف الطن الواحد منه خمسة عشر جنيهاً منذ خمسة عشر سنة أصبح يكلف الآن خمسين. وبينه وبين نفسه لم يعرف كيف يستطيعون تحمل هذه المصاريف.

ونظر من فوق البوابة، بعد أن سمع صوت امرأتين تتكلمان، تعرف على احدهما بأنها السيدة هوكنز، والأخرى ابنته جوان. صوتها يشبه صوت أمها أديث،

وأيقظ صوتها حزناً قديماً فى قلبه.  
ورأتها السيدة هاوكنز.. وكانت امرأة مسترجلة ترتدى  
بنطلوناً قذراً. ولكن، لا فائدة من ارتداء الثياب النظيفة  
وهى تعمل فى ترتيب المخزن. وقالت له:  
مرحباً.. هاى.. إنه آدم!  
وقالت جوان.  
مرحباً يا أبى!  
وكانت تحمل سلة كبيرة من الطعام، وأحس بكرامية  
للسيدة هاوكنز لتركها تحملها لوحدها، وأضافت:  
هل كنت فى بيت القسيس يا أبى؟  
أجل، ولقد انتهيت، وانتهى العمال من الحصاد، وغدا  
سيعود الحصاد الكبيرة، ويبدو لى إنها تعمل جيداً.  
وتدخلت السيدة هاوكنز.  
لقد قالوا على التلفزيون أن المطر قادم. مطر شديد!  
وماذا يبقى لهذا الجزء من العالم؟  
وضحكت وكأنها ترى أن ما تقوله مضحك. وقال آدم:

هذا سنّ جداً

قالت جوان:

سأحضّر إليك غداً لأخبر بعض الكعك لنهاية الأسبوع  
يا أبى وسأجلب معى بعض اللحم المطبوخ، وسأصنع لك  
فطيرة لحم لذيذة.  
عظيم!

إنه يحب فطائر اللحم. وتابع:

لو انتظرتنى حتى أدخل هذه السلّة، سأعطيك اللحم  
لتأخذه معك إلى البيت.

ولم تنتظر أن يرد عليها.. وأحس بالسرور لأنها ذكرت  
(البيت) فبالنسبة له من الخطأ الكامل أن تسكنى هنا مع  
الهوكنز، بينما هى تنتمى إلى (بيته). فنظام القرية أن  
يعيش الولد فى البيت الذى خلق فيه، ويبقى هناك حتى  
يتزوج.. أو يموت. الأولاد يغادرون المنزل مع الرجل أو  
الأمراة التى يختارونها فقط. ولم يكن ليعلم متى حصل  
الانفصال بينه وبين جوان.. مع إنه ليس النوع العادى من  
الانفصال، فهما لم يتشاجرا قط. لقد ذهبت لتبقى مع

الهوكنز عندما كانت السيدة مصابة بالحصباء، وتأخرت في الشفاء لأنها أصيبت به بشكل سيئ. وهكذا تحولت الأيام إلى أسابيع والأسابيع إلى أشهر، وعندما أترك آدم ما حصل.

وكانت العتمة قد حلت تماماً عندما أحضرت جوان له وعاء اللحم المطبوخ. فأخذه وودعهما. ثم سار ليصل إلى منزله وقد أصبحت العتمة شديدة، وأشعل الضوء، وجلس فوق كرسيه، ليخلع حذاءه ويرميه بعيداً، ووضع (مشاية) في قدميه. وصنع لنفسه فنجان (كاكاو) قوي، لأن الليلة كانت باردة، وعاد إلى الجلوس في الكرسي، يتمتع بالراحة.. وسمع قرعاً على الباب، فقال.

ادخل

وارتفع المزلاج ليدخل ابنه هاري من الباب، وكان له نفس وجه أبيه، ونفس العينين والقم المرفف، وسأله:

هل شاهدت ليديا الليلة يا أبي؟

وأجفل آدم، وأحس بالخطر، ولا يدرى لماذا، ولكنه يستطيع القول أن خطباً ما قد حدث.. وقال:

أجل لقد رأيتها.

لقد عادت لتوها إلى المنزل، وثوبها مبلل وكأنها وقعت  
فى بركة ماء... وتتصرف بشكل غريب.  
وصمت آدم قليلاً، ثم بلل شفثيه بلسانه.

ما نوع غرابية تصرفها.

لست أدري... ربما بسبب شاب ما.. لم تقل شيئاً..  
وتشاجرنا وأصبح الشجار كبيراً.. ولكننى لم أحصل  
منها على كلمة.. ولا كلمة لعينة واحدة.

ربما لديها أسبابها.

فى مثل عمرها ليس لها الحق أن يكون لديها أعذار.  
بإمكانها إيقاع نفسها بمشاكل فى غمضة عين.. أتذكر  
غراسى فيكرز؟

غراسى فيكرز كانت آخر فضيحة فى القرية، و(بلاك)  
ضخمت هذه الفضيحة كثيراً. فقد عادت الفتاة إلى  
منزلها تشتم باليوس، هكذا قالت. وأدركت عيون القرية،  
المتتبعة دوما لآى أخبار جديدة، ما حدث لها، وبعد  
أسبوع أقبل الطبيب من البلدة، وقبل أن يدري أحد، كان

هناك طفل يولد فى منزل فيكرز.

مسكينة السيدة فيكرز، لقد انقلبت حياتها رأساً على عقب. ولكن غراسى صمتت وكأنها وعاء النحاس حول ما حدث. وأخذت الطفل إلى جمعية تبني وأعطتهم إياه وعادت دون أن تبالي. وإذا سألت عنها آدم لقال لك إنها تسعى وراء طفل آخر. وقال آدم:

حسناً. وماذا بعد؟

وتقدم هارى ليجلس فوق البساط قرب النار كما كان يفعل وهو صبي صغير كان جزءاً من روتين القرية أن لا يطلب من الزوار الجلوس، وفى النهاية كانوا يجلسون لو أرادوا. وانتظر إلى أن قدم له والده فنجان كاكاو. ثم قال:

أظن السبب هو هيوغ بارتون الشاب الذى يسكن المزرعة.. لابد أنه التقى ليديا خلال عودتها من عملها. وقد أخذها إلى (درب العشاق) أراهن على أن هذا ما حدث.

أه...

لقد أتت إلى هنا أليس كذلك؟

لقد جلبت لى فطيرة لحم مع البيض.. جوان ستصنع

لى واحدة غدا.

وكان هارى فى قرارة نفسه قلقاً على ابنته الكبرى  
فهيلدا ومايبل صغيرتان جداً بعد على الحب. ولكن بنات  
هذه الأيام يتجهجن على الحب باكراً؟ وأخذ يتكلم ببطء:  
ليديا متكدرة. أعرف كيف تشعر حتى ولو لم تقل  
شيئاً! والليلة هناك شئ ما قد أصابها.

حسناً، مهما كان ذلك الشئ، فهذا أمر يخصها  
لوحدها. وإذا كنت تفعل ما أقوله لك، أتركها تعمل على ما  
يخصها بنفسها.. فهذا هو الصواب.

ولكن قد تقع فى مشاكل.

إذا حدث هذا فلن تكون الأولى فى القرية.

وقفز هارى واقفاً على الفور:

لم يحدث هذا من قبل فى هذه العائلة، فتياتنا  
مستقيمات، وأنت تعرف يا أبى.. والاكتر إنه لن يحدث  
مثل هذا لليديا.

وأخذت عيناه تلمع من الغضب. وأدرك آدم هذه

العلامة ولم يحب رؤيتها.

إذا تشاجرت معها قد تترك البيت. وعندما ستندم.

لقد حصل الشجار وانتهى الأمر!

كانت ليديا قد عادت متأخر، ودخلت المطبخ حيث كانت العائلة مجتمعة وحدث بها الجميع.. وعندما بدأ والدها بالصراخ.. أين كانت؟ ولماذا تأخرت، وماذا كانت تفعل؟ ومن تظن نفسها لتتصرف هكذا، ومن هو الشاب الذي كانت معه؟ وأمسك بها ودافعت عن نفسها وأصبحت شقيقتها في ذعر تام، وأسرعتا إلى غرفتهما للأختباء وكذلك أخوهما. وأخيراً تخلت ليديا عن العشاء وصعدت إلى غرفة النوم حيث شقيقتها لم تنام بعد. وكانت تعلم إنهما يظنان بها السوء.. ولم ترد على أسئلتها. بل صاحت:

إخرسا!

وربما كان هارى سوف يتجاهل ما حدث، لولا زوجته التي ثارت به. (مود) دائماً ضعيفة، وتكره الشجار، فهذا يصيبها بالوهن و آلم القدمين، وهذا يقودها إلى مشاكل أكبر. وظن هارى إنه قد يتوصل إلى العدالة.. ونظر من على البساط الطفولى إلى أبيه وقال:



أنت تعرف ما هي النساء يا أبى.. ثرثرة، ثرثرة،  
ثرثرة! ولا يتركك وشأنك. يعتقدن أنهم يعرفن كل شئ..  
وهن لا يعرفن شيئاً.

أجل.. أعرف.. سأتكلم مع ليديا.

اوه يا أبى! هل ستفعل هذا لأجلى؟ لقد فعلت وقلت  
الكثير حتى الآن، فأنا لست من الذى يستطيع السكوت.

وهذا من روع ابنه وأرسله إلى منزله، وقد أقنعه أن  
(مود) سوف تستقبله جيداً، فهذه طبيعة النساء..

وصعد إلى فراشه.. شئ جيد له إنه يستطيع النوم  
دوماً، ما أن يستلقى حتى يغط فى النوم كالطفل الصغير  
حتى الصباح.

وبدأ نهاره، فى اليوم التالى، نشيطاً. قام بعمله  
لشخص ما، ثم لآخر. ورعى الدجاج والخضار فى حديقة  
السيدة بينيث. وعمل مليلاً فى بيت القسيس بعد الظهر  
وساعد جوش هوكنز فى حلب الأبقار. عمل طاملاً أحبه،  
فى هذه الأيام العديد من الرجال لا يعرفون كيف يخلبون بقرة..  
عندما بدأ نهاره عند السيد بينيث، وجد أن إثنين من

الدجاجات قد بدأنا فى حضانة البيض، وفى هذا الوقت من السنة! ووضعهما فى قفص.. وتمنى لو، أنه يستطيع فعل الشئ نفسه مع ليديا. وعائلة بينيث كانت تعنى بحديثها جيداً. فالسيد بينيث بارع فى الورود والسيدة بينيث تحبها كثيراً.

ودخل السقيفة ليرتب بعض الأشياء، وإذا لم يتفرغ لها لساعة أو ساعتين شهرياً فستصبح فى فوضى كاملة. عندما خرجت السيدة بينيث إليه، كانت نحيلة، شابة فى السادسة والثلاثين، ترتدى الثياب الجميلة، ولكنه علم اليوم أنها غير سعيدة من النظرة التى كانت فى عينيها. وتراجع عن سؤالها عن السبب، لأن خبرته فى الحياة علته أن السؤال فى مثل هذه الظروف ليس ملائماً.

ولم تقل له شئ عن ما بها. وأحس بالصمت بينهما لا يطاق. وتسأل ما إذا كانت قد تشاجرت مع زوجها. ولكنهما زوجان لا يعرفان الخصام أبداً.. فهو لم يعرف أسعد منهما من قبل. ثم استدارت إليه وقالت:

سأخرج باكراً فى السيارة الصغيرة يا آدم.. امسح لى الزجاج أرجوك. على رؤية الطبيب فى البلدة.

وشم رائحة المشاكل.

أنت لست مريضة يا مدام؟

سيكون من الرائع أن ينجب هذان الزوجان طفلاً، فقد مضى على زواجهما اثني عشر سنة دون أولاد. ولم يظهر أثر أى حمل. وتمنى آدم لو أن السيدة بينيث حامل الآن، ولكنه لم يقل لها شيئاً.

أشعر بالتعب مؤخراً يا آدم.. أعتقد أنني بحاجة إلى مقويات أو شيء من هذا القبيل. وأظن أن الأمر بسيط.

وعلى الفور علم أن الأمر ليس بسيط.

أتمنى لك الخط يا سيدتي.

وحضر لها السيارة.. وعادت للخروج من المنزل ثانية. وطلبت منه إشعال فرن الغاز عند الساعة الثانية عشرة والنصف كي ينضج الغذاء. وسترجع حوالى ذلك الوقت.. وعمل جاهداً لديها. فرتب كل شيء ونظف قفص الدجاج. ثم دخل ليشعل فرن الغاز. المنزل كان مزرعة قديمة متجهمة عرّفه هكذا طوال حياته. ولقد غير فيه البينيث كثيراً عندما أتوا ليسكنوا فيه. وعاد نحو السقيفة ليجلس

ويتناول وجبة طعامه... وعندما وصلت السيارة، وخرجت السيدة منها، ووجهها أبيض كوجه الأموات، وعلم العجوز أن هناك مشاكل فتقدم منها وقال..  
لقد أشعلت الفرن يا سيدتى.

شكراً لك.. شكر كثيراً.

ودخلت المنزل دون أن تنتظر إليه. وهذا أمر غير عادى منها، وهذا ما أقلقته.

ولم يعد يشاهدها ما تبقى من النهار وكذلك السيد بينيث عندما عاد. وعندما أنهى أدم عمله غادر المكان ولم يعرف شيئاً عما حدث، وأخذ يفكر بالأمر طوال طريقه إلى كوخه. وكانت جوان قد وصلت وخرجت، وفاح فى المكان رائحة الخبز... ووجد رغيفاً سميكاً على المائدة، وبعض البسكويت وكعكة مستديرة كبيرة. واستطاع أن يشم رائحة اللحم فى الفرن، ووجد رسالة تقول: أخرج اللحم من الفرن عند الخامسة.. وأخذ يستعد لتناول الشاي. وسوف يعود الآن إلى بيت القسيس ليشعل للمرأة الشابة النار.. فهو يحب الأشياء الروتينية.

عندما خرج إلى الشارع... شاهد ليديا بأبهى زينتها،  
تتجه ثانية نحو(درب العشاق) وهذا يعنى أن هارى  
سيعرف وسيكون هناك انفجار للمشاكل هذه الليلة.

أنت مرتدية أبهى ثيابك

لدى موعد.

وهذا هو الاسم الجديد لمشاوير العيث.

أبلغيه حبي.. أنت تبدين جميلة.

فى الحقيقة أن ليديا لن تستطيع قول شئ، فهي قلقة  
على نفسها منذ بدأت هذه العلاقة. وبدأت أول عشرة أيام  
ساخنة لها فى حياتها. وكانا التقيا ثانية بعد ليلتهما  
الأولى وقبلها، وكان هذا شيئاً مثيراً لها! ولكنها لن تقول  
أبدأ أن أحداً لم يقبلها هكذا من قبل لأنها كانت تدعى  
الفطنة والتجربة فى الحياة.

خلال الساعات الأولى من قصة غرامها، وبالطبع  
كانت أجمل قصة رومانسية فى العالم، تلك كل عملها فى  
المكتب الذى تعمل فيه: ولم توافق الأنسة شارب على ما  
يحصل. فوجهت إليها ملاحظات قاسية أغضبته. ولكن،

بالطبع، مستقبليها في العمل يتوقف على رأي السيدة  
شارب فيها، وهذا ما يعقد لها الوضع.

وأحجمت ليديا عن الملاحظات الحادة التي كانت تنوى  
أن تطلقها، وأحمر وجهها، وترقرقت الدموع في عينيها،  
ثم وضعت ورقة أخرى في تلك الآلة المريعة القديمة  
للطباعة، وبدأت العمل. كان عليها أن تعترف بأنها من  
الطراز الأول في الوقوع بالأخطاء. وبقيت أفكارها  
مشغولة بليلة أمس، وهيوغ على العشب إلى جانبها  
في (درب العشاق) حيث جلس شبان وشابات القرية معاً  
طوال أجيال.

يريد هيوغ منها أن تبرهن عن حبها له، فهو يريد كل  
شيء.. وتظاهرت ليديا بأنها محنكة، وهي تتقبل قبلاته  
ومداعباته التي أرسلت دواراً، مع قليل من الرعب في  
نفسها. وادعت أنها تعرف كل هذا، ولم تعد الآن متأكدة  
من أنه يعرف أكثر منها. وفجأة تلاشت شجاعته، وكل  
خبرتها العملي مع الراشدين، أمام استحواذ فمه ويديه  
على جسدها. فقد قال، إنها إذا لم تستسلم له، فسوف  
يبتعد عنها وإن يكلمها ثانية. ثم سيعرف القرية كلها إنه

هجرها.. ولكن لو استسلمت، فقد تصبح حاملاً. وهذا أمر سيكون عاراً عليها.

وفي اليوم التالي، تحدثت إليها الأنسة شارب ثانية، وقالت أن عليها أن تعمل بشكل أفضل.. . فماذا حدث لها؟ وكان رأي ليديا أن إخبار الأنسة شارب بالأمر لن يجدي.. . لأنها لا تعرف شيئاً عن الحب! ولو أنها تعرف، لما بقيت أنسة!

واليوم، بدأ الجد يكلمها، وكان لديها فكرة غامضة إنه يعرف أكثر مما يقول، فهو دائماً هكذا، الليلة قال الجد إنها جميلة، وهو ليس مغرماً كثيراً بمدحها، لذا فهو يريد شيئاً. شئ أكثر من فطيرة اللحم بالبيض، وشعرت إنه يريد أن ينتزع منها أسرارها، ولكنه لن يتمكن. فسوف تعيش حياتها على طريقته الخاصة، وسوف تغرق أو تسبح في النتيجة.

وأكملت سيرها إلى (درب العشاق).. .

ووقفت هناك تنتظر هينوغ. وتأخر في الوصول. ماذا سيفعل إذا لم يأت بالمرة؟ ربما قد سأم منها؟ وإذا أتى وأصر على ما أسماه برهان الحب؟ فماذا ستفعل؟

وانتظرت ربع ساعة، ووصلت إلى استنتاج أن ارتدادها لثوب جديد كان دون فائدة، وأن هيوغ قد تخلى عنها. ثم، ودون توقع، سمعت وقع خطواته فوق الطريق، وبرز من الزاوية إلى (درب العشاق) وفجأة سبح الدرب بالجمال وتنهدت الأشجار القديمة، وامتلات شجيرات التوت البري بالثمار، وعبق المكان برائحة الدفء. واستدارت إليه. ولم تكن تنوى أن تقول ما تحس به.. ولكنها، فى سرها، كانت مسرورة لأنه عاد.

هيوغ.. ظننت إنك لست قادماً.

لحظة أن قالت هذا أحست أنها أخطأت، فقد أعطته فرصة ليحس بسطوته عليها. وجذبها إليه، ومع أن من المثير أن تحس ببقوته، فقد أحست بالرعب أيضاً. فقد كانت تكره سطوته عليها، وضعفها الخائف منه.

أنت وأنا يجب أن نتكلم.

أجل أعرف هذا.

وسار! صغوداً فى الدرب إلى حيث أصبحت الأشجار أكثف ويمكن أن تخبئهما. وكان أمامهما مرجة من



العشب القصير جداً، فجلسا فوقها. وأحست بالخوف الشديد... وقال لها:

ماذا ستفعل؟ أعنى.. عنا؟

ما تطلبه خطأ.

أنت سانحة صغيرة! أنت لا تحبينى بل تتظاهرين بهذا. عصفور اليوم يساوى إثنان فى الغد. وهذا يتطبق على هذه الليلة.

وقبلها بتهتك كان كريهاً تقريباً. فقالت وكأنها العاجزة:

أنا فتاة.. مستقيمة.

وتمنت أن لا يبدو كلامها غيباً. ورد عليها مهدداً

سوف تخسرينى.

وكانت تعلم أنها لن تتحمل هذا، فوضعت وجهها على رقبتها، فهمس:

أنت تعرفين ما أريد؟

ولكننا لسنا متزوجان.

الزواج حجة المفلين، أنت لا تثقين بي، مما يعني إنك لا تحبينى حقاً، ولن تكونى الأولى.. وأنت تعرفين هذا.

الطريقة التي قال كلماته بها جعلتها تغضب.. ففى نفسها كرامة العائلة وهذا شئ أبرز فيها حب المقاومة. فانتزعت نفسها منه، ووقفت، وتركته جالساً حيث هو. فقال بوقاحة:

أنت قديمة الطراز ذات أفكار بالية.

ورفسته، ثم ضربته بقبضتها على ظهره، وبما إنه لم يكن يتوقع هذا، فقد انقلب وبدأ يتدحرج. وخافت مما فعلت، ومع ذلك فجزء منها كان فخوراً بما فعلت. وركضت تنزل (درب العشاق) نحو بيتها. وفى نفسها شعور مبهج بالتيه، ولكن ما أن برزت القرية أمامها حتى علمت أن أمها الآن تنهى (كويها) للثياب والداها يقرأ الصحيفة قرب المدفأة، بينما هيلد ومايبل تلهون. وخففت من سرعتها. لماذا فعلت هذا؟ وكم كانت غبية. لأنها خسرت الآن!

وبدأت تبكى.

## الفرح المصموم

تلك الليلة، حصل شجار بين فيلوميل وتشارلز.. كانت  
تكره الشجار لأنه لا يوصل إلى أى نتيجة، ويحدث ضرراً  
أكثر مما شيئاً يعوض ما قد يصرفه من طاقة، وكانت قد  
حضرت الشاي مسبقاً، وكذلك الكعك الطازج، والخبز  
والزبدة، وفطيرتين من البيض. عادة تشارلز يحب أكل  
البيض. ولكنه اليوم كان يرغب فى سندويشات من  
اللحم.. وفى اعتقاده أنها أخطأت.

وتشارلز من الرجال السريعى الامتعاض والذين لا  
يظهرون امتعاضهم، وجلس لياكل البيض بصمت تام.  
وقالت له:

أرجوا أن يكون الطعام قد أعجبك؟

أنا بحاجة إلى شئٍ دسم أكثر. اللحم. فقد يحدث في  
الاجتماع شجار مع جوش هوكنز، فالناس يعرفونه أنه  
دائماً يميل إلى الشجار.

إنه صعب المراس، وأعلم هذا.

كثيراً وكمعظم الرجال الذين لديهم برغى (مملص) في  
رؤوسهم فسيكون صعباً للغاية. واحتاج إلى شئٍ يقوينى  
على مواجهته أكثر من البيض.

وكان لديهم شريحة (كستلاتة) باردة. فاقترحت عليه  
أن تسخنها له.. فتوترت أعصاب تشارلز. وهي تعرف  
دائماً عندما يبدأ بالتوتر، فهناك شريان يبدأ بالنفص في  
صدغيه، وحاولت أن تخلق عذراً لنفسها:

أنت لا تستطيع فهم كم الحياة مملة لى. مملة حتى الموت.

وهل كنت تتوقعين أن تكون حياة القسيس في الريف  
مثيرة؟

كنت أتوقع أن تكون أنت مثيراً.

ولحظة أن قالتها أحست بالخجل. وكان هناك شعور  
داخلي بالنقص في حياتها، يذكرها على الدوام، ويحبطها

على الدوام، وعدم اكترائه كان يزيد لها غضباً.. لا بد إنه يشعر بأنه يتصرف معها بخساسة؟ هل يظن نفسه الأستاذ بين الرجال يضع قوانينه الخاصة، ويشعر بأنه لا يمكن أن يخطئ؟ لقد ارتكب خطأ فادحاً، شيء لا يمكن لها أن تتحمل التفكير به. ويتقبل الأمر بكل بساطة بأن ما حدث قد حدث. شيء لا يمكن لأي مخلوق أن يشير إليه. لقد وضع ستارة حول الأمر. ستارة قولانية كائنات ستارة النعش.. ولاحظ بأنها تبكي.

تمالكي نفسك .. أنت لا تعرفين عن ماذا تتكلمين، فأنت سخيصة بشكل فظيع.

ووقف.. وفوجئت بأنه قصير جداً. أنطوني كان أطول منه بكثير، ووقف يراقبها وكل جسده قد بدا عليه الانزعاج، ثم دخل مكتبته.

ونظفت فيلوميل الطاولة، وغسلت الصحون، ولكنها أحست بالغثيان من الغضب. وسمعت عضوى مجلس الرعية يصلان، فاستقبلهما تشارلز ودخل الثلاثة إلى المكتبة. كانت تنوى أن تقول له إنها خارجة للنزعة، ولكنه كان

فى مزاج جعلها لا تكلمه، وهذا أمر لا تستطيع تغييره فيه. وخرجت إلى الدرب، الذى يدعو أهله القرية (الشارع) ولفحها الهواء الدافئ الناعم على وجهها .. وسارت مبتعدة عن القرية، فهى لم تكن ساعتها تطيق المنازل أو الناس. فقد كانت ترغب فى أن تكون لوحدها.

كانت مسجونة فى سجن تحيط بها الجدران، تمنع عنها العالم الخارجى .. لن تحصل على الحب أبداً .. ولن ترزق بأطفال .. كل ما ستحصل عليه هو البؤس فى الاستمرار هكذا إلى الأبد، إلى أن تصبح عجوزاً.

ومشت نصف ميل إلى حيث غيضة صغيرة كثيفة الأشجار، وعلى أطرافها أشجار الصفصاف .. أقاويل القرية تقسم إنه هنا، فى هذه الغيضة، قطعت رقبة ساحرة، وماتت فوق العشب. والقصة ليست حقيقية، بالطبع، مع أن أهل القرية يصدقونها. وما أن اقتربت منها حتى سمعت صوتاً غريباً، وكأنه امرأة تبكى. لا بد أن هذا بسبب الريح التى تتلاعب بالأشجار. أو إنها الأشباح، ولكنها واثقة أن لا أشباح هنا، والصوت كان يصدر عن داخل الغيضة، حيث يوجد ظلال مخيفة ..

ولكنها شجعت نفسها! وصاحت:

هل هناك من خطب؟

وتوقفت البكاء فجأة. ولم تعد تسمع أى صوت، حتى  
ولا صوت ورقة تسقط. وألقها ظلام ذلك المكان. فصاحت ثانية:  
أرجوكم؟

وسمعت صوت تحطيم عود شجر، وعلمت على الفور  
أن شخصاً ما يسير خاجاً من الغيضة باتجاهها. وكانت  
الشمس قد غربت تقريباً. وحل أول نسيم بارد لليل.  
وخرجت كاي بينيث.. ولم تكن فيلوميل تتوقع أبداً أن ترى  
السيدة بينيث هناك، أو أن تعرف بأنها هي من كانت  
تبكى. وسألتها فيلوميل:

هل هناك شئ خاطئ؟

كل شئ.

وشاهدتها فيلوميل تترنح فأمسكت بذراعها، ووجهتها  
نحو جذع شجرة يرتقى على الأرض.  
إجلسي قليلاً.. فالأرض غير مستوية وقد نقع سوياً.  
وجلستا على جذع الشجرة. وقالت فيلوميل لها:

لما تيكى.

لا شى .. لا شى إطلاقاً .. على العودة إلى بلدة  
مارشهام غداً لأقابل الطبيب.

الدكتور ميرديث؟ إنه رائع. أليس كذلك؟

اوه... لا!

لقد ظننت أولاً أن السبب هو فقر الدم. ولكننى كنت  
أشعر برغبة دائمة فى القى .. أنا .. لقد كنت أرغب فى  
الأولاد، وزوجى سيحب كثيراً أن نرزق بطفل .. وكنت  
أعتقد دوماً أننا لو انتظرنا...

وانفجرت بنوبة. بكاء ثانية .. ولكن بعد لحظات  
تماسكت وتابعت:

أراد أن يحصل على رأى أخصائى .. وحددت موعداً  
مع أحدهم. وعندما أعود أستطيع إخبار كلود بالامر.  
أتعنى أن السيد بينيث لا يعرف بعد.

لا يعرف شيئاً. لقد عاد متأخراً هذا المساء، وكان على  
أن أهرب من مواجهته قبل أن يصل.



وماذا يقول الدكتور ميرديث حول الأمر؟

لم يقل لى .. بل قال إنها غير مؤذية، ولكن لا أحد يعلم قبل نتيجة التحاليل.

ووضعت فيلوميل يدها على يد كاي.. ثم قالت:

فى الحياة يبدو كل شىء أماناً أسوأ مما هو عليه، ثم عندما نصل إليه تتوالف معه. بإمكاننا تجاوز نصف مشاكلنا، صديقتى.

حتى ولو كان الأمر غير مؤذى، فلا زلت بحاجة لعملية. لقد أجرت عرابتى عملية، وكانوا يظنونها مميتة. ولكنها لم تكن.

- أكره أن أصل إليها وأجد أنها أفضح مما اعتقدت.

وجلسنا هناك كشقيقتين، رأس كاي يرتاح على كتف فيلوميل. وسمعنا أصواتاً ليلية من الغيضة، واهتزت شجرة وطار عنها عصفور، ووقعت ورقة.. ولكن لم تحسنا بالخوف. ولا واحد منهما كانت تخاف. وقالت كاي:  
أنا سعيدة لقائك.

وأنا كذلك. وماذا ستفعلين مع زوجك، لا بد إنه فى البيت الآن؟

لست أدري.. كانت تتملكنى رغبة قوية فى الهرب، ولكننى لا أعلم إلى أين وماذا سيحدث.. لن أستطيع إخباره. سأقول له بنفسى، وسأساعدك للوصول إلى البيت.

وبدا إنها وثقت بفيلوميل تماماً، وسارتا نزولاً على الطريق معاً، بدأ بيد كالفتيات الصغيرات. وما أن وصلت إلى بوابة منزل كاي، حتى شاهدتا الأنوار فى داخله، وعلمتا أن كلود بينيث قد عاد. وصعدت كى رأساً إلى غرفتها، ودخات فيلوميل إلى غرفة الجلوس.. وكان كلود بينيث يصب لنفسه مشروباً، فاستدار بحدة، ولكن بالتأكيد لم تكن هذه المرأة التى توقع أن يراها.

سيده لوييس؟

أسفة إذا كنت فاجئتك. ولكننى التقيت كاي فى الطريق. جذاعها مبلل ولقد صعدت لتغيره.. لذا دخلت لأتحدث معك.. هل تسمح؟ حديث صغير.

وهل هى أخبار سيئة؟

ليس تماماً، عليها أن تجرى عملية. وهي خائفة جداً.  
وعلى العموم الأطباء ليسوا بارعين في الحديث مع  
مرضاهم. تخشى أن يكون ما بها شئ رهيب. وأعتقد  
أننا جميعاً نشعر هكذا أمر. أنها تحس بالإنهيار، وقد  
عدت بها إلى المنزل، وأظن أن فتجاناً من الشئ قد يساعدها.  
أظن أن شراباً سيساعدها أكثر .. وأنت؟

لست معتادة على مثله إلا كدواء.  
إسرائيلي الآن كدواء إذاً. أنت فتاة لطيفة، وأشكرك  
على مساعدتك لكأى.  
إنها بحاجة لمساعدة.

بالطبع.. هل سيكون فظاظه منى لو تركتك وذهبت إليها!  
أظن أن هذا أفضل ما تفعله.

وخرجت ثانية إلى ظلام الليل. إنها هي من بحاجة  
لمساعدة، وتقديمها مساعدة لامرأة أخرى جعلها ترضى  
الآلم الذي يعتريها، بطريقة ما. وسارت بسرعة أكبر.  
وعلمت أنها أسعد حالاً الآن. ووصلت إلى الشارع  
الرئيسى فى القرية وكل نوافذ المنازل مضاءة.. وسمعت

نقاشا فى منزل هارى جايمس ثم صوت فتاة تتكلم بحدة.  
وعلمت أنها ليديا، فالفتاة هى واحدة من المراهقات  
الجميلات فى القرية، وهناك كلام كثير عنها. وكان منزل  
آدم ساكناً.. العزيز آدم.. وأدركت أنهما قد أصبحا  
متقاربين جداً فى معرفتهما القصيرة لبعضهما.

ووصلت إلى بوابة منزلها، تشعر بسعادة أكبر وتذكر  
أن القدرة على مساعدة الآخرين تنقلب لتكون مساعدة  
لنفسها. وبدت هذه الفكرة بعيدة. ولكن ربما هذا ما يجب  
أن يكون.. الواجبات تجاه الآخرين.. ولاشئ سواها.

كان هارى قد عاد إلى منزله، كما عرفنا، وتشاجر مع  
ابنته ليديا. وكما قال لوالده فيما بعد، لن يسمح لبنت من  
بناته بالذهاب إلى درب العشاق بعد اليوم. ولدهشة آدم  
قال هارى أن ليديا لم تنزعج كثيراً. عندما اجتازت أول  
نوبة غضب، وبدا له أن علاقتها قد بدأت تبرد. فحب  
الشباب ليس له قوة البقاء طويلاً.

والتقى آدم بهيوغ وهو فى طريقه إلى دار بينيث بعد  
يومين. وحياه دون أن يبدو عليه أى انفعال .. وهذا ما لا

تستطيع الفتيات فهمه.. يحطم قلوبهن والشباب لا  
يبالون، والفتيات مثل رطب النخل.. الكثير منها ينضج  
والرجال لا يزعجون أنفسهم، ومأسة كبرى على الفتاة  
أن تخسر حبها، بينما الشباب لا يبالي، لأن خيار الفتاة  
محصور بمن تتعرف إليه ويطلب منها المواعيد.

ويدا ممتناً عندما عرف أن السيدة بينيث قد تحسنت.  
لقد تحدث معها. لأن هناك عدة أنواع من الشائعات تروج  
في القرية، وكلها تجمعت عندما علم الجميع أن زوجها  
سيأخذها إلى أخصائي. وقال لها:

لقد عشت كل هذه السنوات ولم استمع إلى نصيحة  
طبيب، فهم لن يجنون المال إذا لم يخوفوا مرضاهم.  
أنت .. حقاً تعتقد هذا؟

ومدت يدها الصغيرة لتمسك بيده.

باركك الله يا آدم. جعلتني أشعر أكثر سعادة.

وراقبها وهي تبتعد بالسيارة.

وعلم في اليوم التالي أن ذلك الأخصائي قد أعطاهما  
تشخيصاً ألطف مما كانت تتصور وأنها قد قنعت أخيراً

بإجراء العملية. وفكر أن الصداقة التي قفزت للوجود بينها وبين فيلوميل أمر رائع. فهما زوج من النساء من الطيف ما يعرف. وكلاهما وحيد. وتحتاجان لبعضهما.. وكان يعرف أن القرية كانت على الدوام قاسية مع السيدات. ومن يبقين دائماً في وحدتهن.

يوم السبت أقبلت جوان لتنظيف المنزل لأبيها.. وأحضرت معها الخبز والجبن للغداء، وبعد استراحة قصيرة تابعت التنظيف في الطابق السفلي بعد أن أصبح العلوي يعبق برائحة الصابون التنظيف. وكانت على وشك البدء في تنظيف المطبخ عندما أقبل، الغي، ابن السيدة سبنسر راكضاً، وقال وهو يلهث:

لقد حدث حادث!

لمن.. لأبي؟

لا.. بل للسيدة هوكنز. لقد وقعت وطلبت مني أن أخبرك.

ورمت جوان بكل شيء من يدها وأحسست وكأن سكيناً غرزت في قلبها، فقد أدركت أن حادثاً لصديقتها ألمها أكثر من قبر وفاة والده. وأوقفت عملها، ولم تهتم بأي

حالة تركت المكان. و ركضت الفتاة عبر الفناء الذى يتقدم  
المزرعة، وأخذت الدجاجات تهرب من أمامها كالعادة.  
ودخلت المطبخ، وصرخت، ثم سمعت تنهيدة:

ميريام؟ ميريام.. أين أنت؟

وكانت فى الغرفة الامامية. وعرفت جوان على الفور  
إنها كانت تحاول تعليق الستائر فوقعت، وكانت مستلقية  
على الأرض وهى تتلوى، إذأ لا بد وأن شيئاً فيها يؤلمها.

ميريام ماذا حدث؟

لقد وقعت، وساقى تؤلمنى.

جوان كانت من النوع الذى يستطيع مواجهة الأوضاع  
الصعبة فاستدعت الفى سبنسر وأعطته بعض النقود  
وقالت له:

إسرع إلى غرفة الهاتف يا الفى و اتصل بالدكتور  
ميرديث. قل له أن حادثاً حصل.

والتفتت إلى ميريام:

هل تؤلك؟

- بشكل مريع.

سأحاول إراحتك.

واحضرت وسادة ووضعتها تحت رأس ميريام، ولكن كان من الصعب زحزحتها لأنها ثقيلة الوزن. وكانت الساق مكسورة وقد انزاحت من مكانها السوى. ولم تجرؤ على لمسها.

وهاء الفى... ليقول أنه كان محفوظاً لأنه حظى بالطبيب على الفور.. ولكن الطبيب طلب منه أن يتصل بالمرضة المحلية لتساعده ولم يعد لدى الفى المال اللازم لذلك.. ولكنها كانت واثقة أنها أعطته أكثر من اللازم. وتذكرت أن والدها كان يقول أن كل أولاد سبنسر يدهم طويلة. فاعطته قطعة مال ورقية وطلبت منه أن يحصل على نقود حجرية من مركز البريد، ثم يجرى الاتصال بالمرضة. وساعد الشاى ميريام على الهدوء. وكانت جوان تحاول على الدوام أن لا تنظر إلى الساق المصابة المشوهة، فمَنظَرها كان سيصيبها بالغثيان. وحالفها الحظ، فقد سمعت صوت سيارة الطبيب ودخل وهو يبتسم:

هل هناك من مشاكل؟

كان شاباً وسيماً وأخلاقه ممتازة.



أجل.. كنت فى منزل أبى أنظفه وجاء الذى يستدعنى  
ووجدتها هكذا. وتبدو ساقها بحالة فظيمة و لم أجرى على  
تحريكها.

أنا مسرور لأنك لم تحاولى تحريكها.

وتقدم من ميريام ليرفع تنورتها إلى فوق و يكشف عن  
الساق التى التوت بشكل فظيع. وكأنها فحن شجرة  
مكسور ومعلق فوق الجذع. وأحست جوان بالرغبة فى  
الذى لهذا المنظر.. فركضت إلى المطبخ.. من الفطأ التقير  
فى ذلك المطبخ الجميل الأنيق، ولكن ما العمل.. ووقفت  
تستعيد أنفاسها، وتمكنت من السيطرة على أعصابها..  
إنها ابنة أبيها، ولها بعض من روحه القوية، وهادت إلى  
الغرفة.. وقال الطبيب.

إرسلى من يطلب سيارة إسعاف، وحضرى لها حقيبة  
ملابس. أستطيع إراحة الماء، ولكن هذا يستدعى إجراء جراحة.  
إنها تكره المستشفيات.

أعلم، ولكن الساق مكسورة وتحتاج لعناية كى تعود  
إلى طبيعتها. وهذا ما كان ليحدث لو إنها نحيلة. الممرضة

لن تتأخر كثيراً فى الوصول.  
ولكن ماذا سأفعل إذا لا متنى لأننى سمحت بذهابها  
إلى المستشفى.  
إذهبى واتصلى بسيارة الإسعاف وساتكفل بالباقى.  
هيا يا فتاتى الطيبة.  
وأحست جوان بالسعادة لأنه دعاها بالفتاة. لأنها  
كانت تحس أن الحياة قد بدأت تتسلل هاربة منها. وأنها  
تكبر فى السن، لقد قاربت الأربعين، وهو سن ملئ  
بأشباح تخيفها. وبطريقة ما كانت سعيدة لحياتها مع  
هذه المرأة التى تدللها وترعاها، فهذه هى العاطفة  
الوحيدة التى حصلت عليها فى حياتها. جوان لم تكن  
متوافقة مع والدتها أبداً، ووالدها متباعد، مع إنه لطيف،  
ولكنه بطريقة ما بعيد عنها. كانت تحب ميريام هوكنز  
حقاً، وهذا شئ لم تحس به نحو بيتها.  
ووصلت سيارة الإسعاف بسرعة. وقلقت جوان حتى  
الموت. وكان الطبيب قد أرسل الفى لیسدعى جوش هوكنز  
من الحقول البعيدة. ودخل الطبيب وراعا إلى المطبخ وقال:  
لقد حملوها إلى سيارة الإسعاف.. وجوش وصل. وهو

يلهم أن هذه هي الطريقة الوحيدة.

ولكنها ستبقى في المستشفى لأسابيع طويلة؟

لا.. ليس في هذه الأيام.. ستعود قريباً، وستراها  
المرضة في المنزل. وعندما تحصل على عكاز للسير  
ستكون على ما يرام.

وربت على كتفها.. وبطريقة ما حركتها تلك اللمسة، وقالت:

ميريام كانت الشخص الوحيد الذي أبدى العطف  
على والدتي وأنا لم نتفق أبداً. ووالدي بارد، ومتباعد  
عنا. لو كنت تدري ما أعني.. وميريام كانت طيبة معي.

في تلك اللحظة أحست أنها منجذبة له، ومعجبة به.  
وهو قادر على أن يعطيها شيئاً يشجعها به. إنه رقيق  
جداً... وقال لها..

أعتقد أنك بحاجة لفنجان من الشاي.. أليس كذلك؟

وعلى الفور مرت بما يشابه الفرع المحموم بأن تفعل  
شيئاً له، شئ يريده. وحضرت الشاي، وقطعة (كايك)  
كانت قد صنعتها ليلة أمس. وهنئها على صنعها للكايك..  
وعندما انتهى من الشاي عاد للتحدث مع جوش الذي  
يبدو متكرراً.

تستطيع الاتصال بالمستشفى فيما بعد وسيبلغوك عن حالها.

وذهب جوش مع زوجته فى سيارة الأسعاف.

وحضرت جوان حقيبتها وأخذت أشياءها معها،  
وذهبت إلى منزل والدها بعد أن تركت العشاء جاهزاً  
لجوش عند عودته. وفى المنزل تابعت ما كانت تقوم به،  
ونظرت إلى الساعة، وعلمت أن والدها سيكون فى المنزل  
خلال عشر دقائق. فوضعت إبريق الشاي على النار، وفى  
نفس اللحظة سمعت اقداامه الثقيلة فوق الحصى عند  
زاوية المنزل.

ماذا؟ أنت هنا؟

لقد وقعت السيدة هوكنز، وكسرت ساقها. فنقلوها إلى  
المستشفى ولن أستطيع البقاء مع جوش لوحدها.

لا.. أعتقد هذا. وهكذا عدتى إلى هنا؟

أجل.

وساورها انطباع إنه غير مسرور بعودتها. فقد تعودا  
على روتين حياتهما السابقة، والروتين اليومى لا يمكن أن  
يزهج.. وعلمت أنها بحاجة لأن تبكى.

## دعوته للإقامة

إخبار حادثة ميريام هوكنز أزمجت القرية. مع أن ميريام، وكما قال الطبيب، عادت عند نهاية عشرة أيام إلى منزلها. ولم تكن القرية معتادة على أن يتغلب أحد على مثل هذه الحادثة المريعة بسرعة. . وكانوا ينظرون إلى الأمر بارتياح. كذلك إلى طرق الدكتور ميرديث الجديدة في العلاج. . وكذلك من غير الطبيعى أن لا يكون الطبيب متزوجاً، فهذا أمر صعب على النساء تقبله، وبعضهن يشعر بالهرج والتردد في أن يتفحصهن لهذا السبب فالرجال المتزوجون وهدم من يعرف بمشاكل النساء. . وكذلك الأمر الأطباء.

واجتازت السيدة بينيث عمليتها بنجاح لم يتوقعه أحد. وخرج السيد بينيث إلى الحديقة يخبر آدم عن تحسن صحتها.

العملية تمت على أحسن ما يرام، ولم يجدو شيئاً،  
وهذا بركة من الله، لقد استراح بال الجميع.

أجل يا سيدى.

وكان آدم يعلم أن هذا هو الخوف الذى كان. الناس  
يسمون الخبيث ولكنه يعرف أنه السرطان. وقد يكون  
الاطباء حذقين وبارعين، ولكنهم حتى اليوم لا يعرفون له دواء.  
لو صنعت لها باقة أزهار من النوع الذى تحبه، أتمنع  
فى هذا يا سيدى؟

سأخذها لها، وأنا واثق إنها ستحبها.

وجمع آدم الأزهار فى الصباح التالى بعناية فائقة.  
وستكون هذه الأزهار آخر أزهار الحديقة. ففى أى وقت  
الآن سيبدأ موسم البرد.

وعاد إلى منزله باكراً. وسار على مهل، فلم يكن  
مستعجلاً، حتى ولو كان الضباب قد بدأ يتصاعد، وعند  
نهاية الطريق شاهد فتاة تحادث شاباً وكلاهما يستند  
إلى بوابة الحقل. وكانا مستغرقان فى الحديث بحيث  
إنهما لم يسمعا وهو يقترب، ومال إلى فوق العشب كى

لا تسمع وقع أقدامه. وسمعها تقول:

ظننت أنك تحبني.

نبرات صوتها كانت كالسوط تنزل على قلبه. . هيوغ لم يحبها أبداً. وكلاهما يحب الحب فقط، والشعور الذي يقدمه لهما الحب، والبهجة. ربما، هذا يحدث لكل واحد منا في وقت من الأوقات. . فقد حدث له.

وتقدم منهما ليقول:

إنه مساء جميل.

هيوغ بارتون لم يكن مهتماً بالطقس، فرد دون أن يلتفت.

عظيم.

العشاق لا يحبون المقاطعة. ويسعون دائماً أن يكونوا لوحدهم. وهو يعلم أن هذه العلاقة قد تجاوزت ذروة تأثيرها، وهي قادمة الآن نحو نهايتها. وسوف يتحطم قلبها قليلاً، ثم تجد لها حباً آخر، وعندها ستقسم بأنها لم تكن محبة هكذا من قبل.

وتابع سيره، وما أن اقترب من بوابة داره حتى استدار ليشاهد فيلوميل لويس قادمة باتجاهه، لقد كانت

في زيارة للسيدة بينيت، وتبدو تعباً، ولوحا لبعضهما .  
ثم تاهمت فيلوميل الطريق إلى أن وصلت قرب الجدار  
القرميدي الذي يحيط بمدينة منزلها. تشارلز لن يكون في  
الداخل لأنه ذهب إلى إجتماع اكليركلي في بلدة قريبة  
وما أن حاولت فتح الباب حتى شاهدت سيارة تتقدم من  
الجهة المقابلة. . ولم يكن من عادة السيارات استخدام  
هذا الطريق، فهو مسدود ويقود فقط عبر البوابة إلى معر  
ضيق، ثم عبر حقل ليعود إلى الطريق الرئيسية. وما أن  
اقتربت السيارة من سياج المنزل حتى تزلزلت وانقلبت  
رأساً على عقب. فركضت باتجاهها، وما أن وصلت حتى  
كان شاب صغير يتسلق من داخلها إلى الخارج وهو  
يمسك بذراعها، وتهوى إلى الأرض بعد أن خرج.  
فأسرعت إليه.

لقد أفلت منك زمام القيادة أليس كذلك؟

إنها غلطتي . . كنت أعلم أن عامود القيادة معطل. .  
ولكن ذلك العامل في الكاراج اللعين قال إنه سيكون بلى  
ما يرام، انظري إلى السيارة!  
كان نوعاً من الرجال لم يكن تشارلز أبداً، ولن يكون،



مع إنهما معاً لهما شعر أسود، وجهه كان محمراً من  
حواله شمر كثيف يتراجع إلى الوراء، بينما عيناه،  
اللوزيتان كانتا جميلتان جداً. وشاهدت كل هذا على  
الفور، وأحست بالخجل لأنها تعرفت على جمالهما. وقالت:  
أنا أسفة. أدخل إلى هنا. فهذا منزلي. أنا زوجة الكاهن..  
وكان عليها أن تساعد في أول خطواته، وكانت تشعر  
بأنه لا يزال دائماً وساعده ليُدخل ثم ليجلس على مقعد  
مريح في غرفة الجلوس فقال وهو يبتسم:  
أنا أجعل نفسي أبدو وكأنني الأحمق.  
لدى بعض المشروب القوي. . هل تأخذ منه قليلاً.  
سأهب ذلك كثيراً.  
وأعطته كل ما كان في الزجاجاة. فقال بعد أن أحس  
بالراحة:  
عظيم. . وليبارك الله فيك! إنها رحمة أننى لم أصب  
بأذى! وكل ما لدى هو مجرد صدمة، واستطيع التغلب  
عليها بسهولة. هل هناك كاراج في القرية؟  
فضحكت بمرح:

لا تكن سخيماً . هذه ليس قرية من ذلك النوع! اقرب  
كاراج يبعد ثلاثة أميال . في بلدة (براكوارث)

هذا يكفي!

ولكنه شاركها الضحك . فقالت له:

إجلس هنا وسأجلب لك بعض الشاي الساخن.

وجلبت الشاي، وكان مفعوله أقوى من المشروب . .  
كان وسيماً نحيلاً، ولكن دون أخايد أو حفر في وجهه  
لأنه شاباً . . وكان فيه توق الشباب، مع كل تلك الأحلام  
التي لم يكن تشارلز ليفكر بها . . لا يجب عليها أن  
تقارنهما . . فهي تعرف أخطار المقارنة، وأخطار  
مخاوفها . إنها تعيش فوق بركان يمكن أن ينفجر في أية  
لحظة، وإن تستهين أبداً بقوته وشراسته، والمقارنة قد  
تكون الفتيل لأشعال الديناميت.

كان حديثه عادياً، مسلياً، ودائماً يضحك، وهذا  
يختلف تماماً عن أحاديثها العادية. كان مؤلفاً، وليس  
جائعاً في سقيفة مهجورة. فهذا لم يعد حال المؤلفين في  
هذا القرن.

أتؤلف كتباً؟ هل أعرف شيئاً منها؟

وأعطاهما عنوان كتاب تعرفت إليه، فقد قرأته، .  
تشارلز دعاه بالزوج (العصري) فهو يكره العالم العصري  
الحديث ولم يتزوج مع المد الذي حدث فيه.  
لقد قرأت ذلك الكتاب. . ولكن زوجي لا يعجبه، ومع  
ذلك قرأته.

زوجك رجل دين عادى. . له زوجة غير عادية.  
ربما يكون تشارلز يتصرف مع الحياة بشكل رسمي.  
ألا يجب أن يعيش الكاهن حياته كي يستطيع خدمة  
الكنيسة؟

ربما تكون على حق! هل تريد مزيداً من الشاي؟  
شكراً. . لا . . أشعر بأنني أفضل بكثير. . حتى أنني  
عدت كما كنت! والآن ماذا سأفعل بخصوص السيارة؟  
هل لديك هاتف؟

أجل بالطبع. ورقم هاتف الكراج واسم من يديره.  
ولكنني أظن أن الوقت متأخر، لقد قاربت الساعة السادسة.  
سأتصل به حالاً.

وخرج إلى الردهة، وسمعه يتحدث. . العجيب إنها  
تتمتع بما يحدث كثيراً. . ثم عاد.

إنه لطيف جداً. وسيرسل أهداً ليصلح السيارة في الصباح الباكر. لقد ذهب كل عماله الآن. هل هناك فندق تستطيع أن أبات فيه هنا؟

قرية بلاك صغيرة وليس فيها فندق.

وصمتت. . هل تجرؤ على أن تطلب منه البقاء هنا؟ الحكمة تقول لا. . وكان هذا بمثابة جرس إنذار يرن في قلبها، وجبنت عن اتخاذ أى قرار. وعندما فتح الباب ودخل تشارلز. قائلاً:

ها أنا وصلت يا عزيزتى.

والتقت حينهما، وأحست فجأة بالارتباك. وقالت له:

هذا تشارلز، زوجى. . وأنا لا أعرف حتى اسمك.

إسمى كلايون ستيفنز. . ظننت أننى أخبرتك؟

لا. لم تفعل.

ودخل تشارلز الغرفة بمزاج مرح، فكل شيء كان كما يشتهى فى الاجتماع. وأخبراه ما حدث، فقال ما كانت تتوقعه تماماً:

يجب أن تبقى الليلة هنا. لدينا غرفة نوم إضافية للضيوف. وسيكون هذا نوعاً من الضيافة لكينا.

وتركتهما معاً لتفسل أشياء الشاي، وتلقى نظرة عما لديها لأجل المشاء. وحضرت المشاء وأدخلته إلى غرفة الطعام، حيث الرجلان كانا متفقان على أحسن ما يرام وكاتهما يعرفان بعضهما طوال حياتهما. . .

وحضرت المائدة في أجمل صورها، وعندما شاهد تشارلز ذلك قال معلقاً:

إذا أنت تقيمين احتفالاً!

لقد فعلت ما باستطاعتى.

وقال كلاين:

هذا عظيم. . رائع. . لقد كنت أظن أن بيوت الكهنة جافة خاوية. . وما أنا أقع على هذا! لقد اخترت المكان المناسب.

وقالت له:

ماء الحمام لن تكون حارة الليلة.

لا بأس. أفضل دائماً (الدوش) البارد. . يقولون أن الصدمة مفيدة للصحة. ووافق تشارلز على كلامه. . ولكنه لا يمكن أن يأخذ (دوشاً) بارداً بنفسه. مع أنه يشجع

الرياضيين على هذا ،

وهم جالسون على المائدة يتناولون العشاء ويتحدثون  
بعرض، قسرح جروس الباب بالخاخ. وذهبت فيل لترد،  
ووجدت هناك آدم:

أسف يا سيدتى. . لقد وقع حادث، ويريدون السيد  
لويس هناك. ابن مايك كورن دلق على نفسه وعاء ماء  
مغلى، وحرقه بليفة.

كم هذا مريع! سيحضر السيد لويس فى الحال. هل  
تريدون رباطات؟

لقد أحضروها. ولقد اتصل ولدى هارى بسيارة  
الأسعاف، إذ يجب نقله إلى المستشفى ووالدته معه، وهى  
تنتظر مولوداً فى أية ساعة الآن.

سأقول لزوجى.

ونادته، فخرج من غرفة الطعام، وارتدى معطفه فوراً،  
وسار مع آدم، ولم تدرك فيلوميل أن تشارلز قد يذهب  
معه إلى المستشفى. وسيتأخر. . وكانت ترتجف وهى  
تخبر كلاين ما حدث.

أنا أسف كنت أمل أن يكون وصولي لطيفاً.

إنه كذلك. . فعلاً. . لولا الطفل الذي احترق.

هل لديكم بعض المشروبات.

لا. . لقد أعطيتك آخر ما عندنا!

يا إلهي! كم أنا أسف! لابد أن هناك شيئاً منه في  
سيارتي. هل لديكم مشعل؟

وأنت له بالقتل، وخرج الشاب إلى السيارة، بينما  
نظفت هي الطاولة، لن تغسل الصحون لأن الخادمة  
ستأتي صباحاً. ويعد لحظات عاد كلاين ستينغز و  
زجاجة مشروب في يده. فقالت له:

بيدولي وكأنك من النوع السكير.

اوه. . بالفعل! الآن ستشاركيني القليل منه. وتوقفى عن  
القلق حول الطفل الصغير. الأطفال كالقطط لهم تسعة أرواح!

وهل لديك أطفال؟

لست غيباً لأتزوج. أظنني إنني لا أعرف متى تبدأ  
مشاكل الحياة؟

ورأى أنها دهشت وقد أخذت كلامه على محمل الجد،  
فأجاب:

كنت أمزح. . لا تكدرى نفسك. . يوماً ما عندما التقى  
بالفتاة المناسبة سأتزوج. . ماذا حصل للأطباق الوسخة؟  
لقد وضعتها فى المفضلة.

إشربى ما بيدك وسوف نفسلها معاً! أنت تفسلين وأنا  
أُنشف.

تشارلز لا ينشف أبداً. . إنه يكره هذا.

ليس كل الرجال مثل تشارلز. . هيا. . إشربى. .

وأحست بأنها أفضل حالاً، ومختلفة أيضاً. من السخافة  
أن ننظف الصحون فى وقت ستأتى فيه الخادمة صباحاً.

هذه سخافة!

هراء. . حياتنا للتنظيف!

ودخل المطبخ، وتناول منشفة من خزانة الشاى، وكان  
واضحاً إنه معتمد على مثل هذا الروتين. وغسلت  
الصحون ونشفها هو. وكان بارعاً جداً فى عمله، وفى



الواقع تعلمت منه الكثير في هذا المجال، وعندما انتهيا،  
قدم لها سيجارة من طلبة مذهبة.

تشارلز لا يعجبه أن أدخن.

تشارلز ليس هنا. فهل يهم؟ أنت بحاجة لشيء يريح  
أعصابك. والآن من منكما يرتب الفراش؟

فضحككت، وسأته:

ومن رباك؟

والذتي. فأتنا طفلها الوحيد. وطالما أرادت فتاة. وكان  
على أن أساعدها في الأعمال المنزلية. . هيا بنا نحضر  
الفراش، ضبع هذا في المغسلة وهذا في الغسيل إحضر  
بعض الفحم. . أنت تعرفين الروتين.

ألم يجعلك هذا مخفناً.

يتهمني ياخذ بأتني مخفنت من قبل!

والحفظات كانت العينان اللوزيتان غاضبتان منها،  
كانتا عينا رجل يبحث عن تجاوب في نفسها. وتمنت لو لم  
تقل ما قالته. فقد كانت تخشى أن تخترق عيناها سرها  
لتسييران مباشرة في نفسها، ويرى المرأة التي تبكي في

الليل، وفجأة تذكرت المنزل الكريه في (كرونوويل) وتلك المرأة العجوز الكريهة التي كرهتها كثيراً، والفراش المتلبد، وتشارلز، وشخيره. لا يجبان يعرف شيئاً عني!.. وقالت بسرعة:

لنعد إلى غرفة الطعام.

وما الذى أخافك؟

لا شيء. لا شيء إطلاقاً. . بالطبع.

وسارت أمامه.

لا شيء من هذا كان يجب أن يحدث، هذا ما حدثت فيلوميل نفسها به فيما بعد. . فقد كان هذا أحد الخدع الظالمة التى يقوم بها القدر. واحدة من تلك التطفلات السمجة التى تتسلل إلى حياة الإنسان، وتفسدها عليه. كانت تظن أنها آمنة، والآن تعلم إنها ليست كذلك أبداً. كانت قد آمنت بوجود أعماء بصرها عن الحياة، والحب معاً. وحاولت أن تتخيل إنها تقطع هذه السنين فى بيت الكاهن فى الريف دون أن تتأكل فى العمق. هذه القرية صغيرة جداً، ووجهاً نظرها محدودة، وأحسست أنها

تشارلز كان طبيباً معها على طريقته. ، كان ظنه بها أنها طفلة وسوف تتحسن مع الزمن، وأن تؤنب، وتوعظ أحياناً، وفي أوقات أخرى تدلل. لم يكن ليقبل بأنّها تمتلك أية معرفة، ولا شجاعة، ويصرف النظر عن ذلك بقوله (أنها حقاً لا تعرف. . كيف يمكنها أن تعرف؟) ربما من الأسهل تحمل الزواج هكذا، لأنه يضعه في موضع متفوق، ويبقى هو الرجل والمسؤول. إنها أصغر من أن تتقبل الزواج بالطريقة المعروفة، وهذا التصرف كان عذره الوحيد. مرة، وبعد إحدى المشاجرات الحامية بينهما عندما بكت فيلوميل وأخرجت كل ما في قلبها، واجهت تشارلز باتهام بأنه يحرمها من حقها الطبيعي بأن تكون أمّاً. واشتعل غضباً. وتمسك بحقوقه أن عليه أن لا يتكلم مع فتاة تفكر هكذا! فالأولاد يأتون من عند الله. . وذهلت لهذه المناقشة، حتى أنها حدقت به ولا حول لها، ولكنه لم يكن خجلاً أو مرتبكاً مما قاله. وكأنه يؤمن بأن هذه هي الحقيقة. ولم يكلمها ليومين بعد هذا. وأصبحت سقيمة إلى درجة اضطرتّه إلى استدعاء الدكتور ميرديث

ليفحصها. ومرضها تشارلز بحنان، وكائه المرأة، وإن تنسى أبداً عطفه عليها. وأخذت تفكر به. . رجلان متناقضان في رجل واحد.

ثم أقبل كلان ستيغنز ليظهر في الصورة.

تلك الليلة الأولى، بقيا يتحدثان إلى وقت متأخر، ورجع تشارلز وشارك في الحديث، وذهبت فيلوميل إلى الفراش، واستلقت ملوالم الليل تستمع إلى شخير زوجها. . وفكرت كثيراً بكلان ستيغنز. . فعلى كل الأحوال من المنطق أن تلاحظ بأن أول رجل وسيم من عمرها يدخل إلى حياتها لا بد أن يشير قلقها. لقد توقفت عن حب تشارلز، وربما حتى أنها توقفت عن حب الحياة نفسها. . وكان هذا الشاب شيئاً مختلفاً في حياتها.

ولم تفكر أبداً أنها ستقدر أن تنام. . ولكن ما أن حلت الساعة الثالثة حتى غطت في النوم واستفاقت في الساعة التي اعتادت عليها. وقفزت من السرير، فعليها أن تعد الفطار، وبطريقة ما أرادت أن يكون هذا الفطار أجمل ما في حياتها.

وحضرت البيض المخفوق، أنها تجيد صنعه دائماً.  
وكانت مشغولة بتحضيره عندما دخل كلان المطبخ يسأل  
عما إذا كان هناك شيء يستطيع المساعدة فيه وسألها:  
ماذا تطبخين؟

البيض المخفوق (أوليت) واحدة لك منا، تستطيع أخذ  
حصتك ساخنة إذا أحببت. ولكن انتبه إنها ساخنة جداً.  
رائحتها لذيذة.

وبانت السعادة في عينيه، وفكرت فيلوميل: الطعام هو  
دائماً أفضل من المرأة عند الرجل. . وقالت له:  
تفضل معها البندورة أم بهارات الأعشاب؟  
بل أفضل البهارات. إذا كان هذا لا يزعجك.

وحمل طبق التوست وأخذه إلى غرفة الطعام ثم عاد  
ليأخذ طبق الزبدة الطازجة، ثم وقف قريباً يراقبها وهي  
تقلى البيض، ثم تقلبه للجهة الأخرى. وصاح فرحاً:

هذا عظيم! أنسال ما إذا كان زوجك يعرف كم هو  
محظوظ لحصوله على زوجة جميلة مثلك وساجرة  
وتستطيع صنع أوليت لذيذة أيضاً!

إنه يعرف، كما أعتقد. .  
ولكنها لم تقل هذا بحماس، فهو موضوع خطير،  
وأردفت:  
هذ صحنك، وهذا لتشارلز، انتظر لأضع البقدونس  
على الوجه. . طعمها يختلف مع البقدونس.  
أنت نابغة فيلوميل، نابغة ولك اسم جذاب.  
ودهشت لاستخدامه اسمها مجرداً، وارتعدت من أن  
يرى احمرار وجهها. . غرفة الطعام تكون مشرقة في مثل  
هذه الساعة، الساعة الوحيدة التي تدخل إليها الشمس.  
وهذا ما نجعل المائدة تبدو مختلفة.  
وقال تشارلز:  
لقد وصلتني مكالمة. . ساكل هذا ثم أذهب بسرعة. لقد  
حصل حادث آخر. شئ له علاقة بعربة من العربات  
الجديدة التي أتوبها إلى القرية. والحصاد دائماً يأتي  
بالحوادث. ولا أظن أن الحادث سئ ولكنهم اتصلوا بي.  
ولكن أنهي (الاوليت) أولاً.  
أجل بالطبع سأفعل.

وتكلم كلاين أيضاً.

لقد ذهبت لألقي نظرة على السيارة هذا الصباح، ولا أعتقد أن بها سوءاً كما ظننت. وكان عامل الكراج هناك. وهو يصلحها بسرعة.

وماذا سيفعل؟

سيجرها إلى كاراجه. . وسأذهب إلى هناك فيما بعد.

فقالت له:

بإمكاني إيصالك بالسيارة.

وخرج تشارلز إلى الحقول. . وبقى كلاين وفيلوميل على طاولة الفطار لمدة طويلة ورائحة (التوست) الخبز المحمص والقهوة تملأ الغرفة، والشمس ترسل أشعتها إلى الداخل، ومنظر الوادي يبدو رائعاً من خلف النافذة.

وكأنما قرأ أفكارها، فسألها:

ألا تجدين المكان مميتاً عندما يحل الشتاء.

لست أدري حقاً. فأمامي دائماً الكثير لأعمل فيه. . شراء الأشياء للناس، ترتيب بعض الأشياء الأخرى، الميلاد. وبطريقة ما تسير الأمور على ما يرام.

وبدا يشرب فنجان القهوة الثانى.

هل اخترت بنفسك أن تكونى زوجة كاهن؟ أم أن هذا حدث صدفة؟

قد حدث صدفة، كما أعتقد.

وتوترت أمصاها، وكانت خائفة أن يظهر هذا عليها، وعلمت بأنها تشك فى الناس دوماً، وخاصة من هم من خارج حياتها. أنها تشك فى الدكتور ميرديث لأنها شاهدت مرة نظرة مريبة فى عينيه. وحتى أنها تشك فى آدم المعجوز. أنها ضائعة فى بحيرة من الشكوك ملفوفة بها، ممزقة بها. وربما على المدى الطويل ستغرق بها. وسألها كلاين وعيناه تتلحسان وجهها:

وهل تحبين هذا العمل؟

أجل أعتقد هذا، فأنا أحب الناس. عليك أن تلتقى بآدم المعجوز قبل أن تذهب. إنه يأتى ليقوم بالأعمال الغريبة هنا، وهو فوق الشمانين. إنه أب القرية وربما الرجل الذى يعرف أكثر شئ عنها.

ونظر إليها ثانية. . وثانية خافت أن تكون قد كشفت شيئاً تريد أن تبقيه سراً. وقال وهو يتسهم:



إحذري، آدم المعجوز لا يعرف كل شيء. . هل كان هنا طوال حياته؟

أجل . . وكبار رجال القرية يعيشون كثيراً، كما يبدو. والبيوت هنا تتوارثها العائلات كما هي البيوت الكبيرة. أنت تجعلين هذا يبدو ساحراً.

ربما يكون ساحراً بالفعل. تمايل إلى الخارج وقابل الرجل المعجوز.

أى شيء للحصول على قليل من الراحة، أى شيء لتهرب من الحديث بينهما. والتقىا بآدم وهو يدخل فناء الأسطبل، ومعه غداة مربوط بمنديل كمادته دائماً. ونظر إليهما، ثم خلع قبعته القماش:

صباح الخير سيدى صباح الخير سيدتى.

فكانت بسرعة:

إنه صباح جميل يا آدم. أراد السيد ستينغز أن يقابلك، سيارته تمطلت قرب الطريق ليلة أمس. حصل حادث مزعج، وهو يريد العودة بسرعة إلى لندن. ولكن شارحنا ليس على طريق لندن.

لا . . بالطبع لا.

وقال كلاين . . وهو يمد يده له بعلبه السكاير:

كنت أحاول اختصار الطريق، وانتهى الأمر بى إلى  
هدر الوقت الطويل . . تفضل واحدة من هذه.

ووصلنا إلى السيارة، وكان لفيوميل شعور بأن هناك  
شيئاً لم يعجب آدم، ويرتاب فيه . . ولكن ربما هى من  
ترتاب بنفسها. وقادت السيارة بسرعة، تريد الانتهاء من  
هذا الأمر، وأن تضعه خلف ظهرها إلى الأبد. ولا بد أن  
كلاين لاحظ هذا، فقال:

هل تريدان التخلص منى بسرعة؟

كم أنت سخيف!

والدتي تقول أن لى موهبة فى النظرة البعيدة. أنا لا  
أريد الخلاص منك فيلوميل . . وسأعود لأراك.

وأحست بالآثارة، فى وقت كانت كل الأماكنيات تبرز  
نفسها. وأخذت عيناها تتراقص. ولكن نصف تفكيرها كان  
خجلاً، ووصلت السيارة إلى الشارع الرئيسى وأمامهما

إلى البعيد استطاعا رؤية الكاراج القبيح ومضخات  
الوقود كأنها (الخفر) أمامه. وأبطلت سيرها، فقال:

هذا أفضل، ز أردت أن أتحدث إليك،

أسفة. ولكن ليس أمامنا الكثير من الوقت. . لدى. .  
الكثير من الأشياء لأعملها.

أعرف. . ولكنني أردت أن أشكرك على لطفك، وأسألك  
إذا كنت أستطيع العودة لرؤيتك قريباً؟ أستطيع هذا،  
أليس كذلك؟

وقال قلبها. . لا. . وتمنت أن لا يحمر لون بشرتها.  
وحضرت نفسها كي ترفضه. ثم وجدت نفسها وبكل غباء تقول:  
أرجو أن نفعل هذا.

آدم لم يعجبه ما رأى، وصلى بأن لا يكون شيء مما  
شك فيه قد ظهر عليه. وعادت فيلوميل، ووضعت السيارة  
في الأسطبل القديم. ثم دخلت المطبخ، وعادت وهي تحمل  
فنجان شاي له مع قطعة (كايك). ومع أنها كانت  
كماداتها، إلا أن آدم عرف أنها قد تغيرت.

## المرزعة الحمراء

وأنهى آدم عمله باكراً، وبدأ يسير باتجاه منزله. فى الكوخ كانت زوجة ابنه قد أعدت له الشاي. فى الواقع إنه محطوط بالنساء الذين عنده، مع إنه لا يأمل كثيراً لا بليديا ولا بشقيقتها هيلد وماثيل.

وأقبلت ليديا

لقد أحضرت تلك الفطيرة يا جدى!

فتاة طيبة.

ومد يده ليخرج حافظة نقوده الجلدية التى اشتراها له هارى من البلدة السنة الماضية. وانتظرت ليديا، ونظر إليها ليجد إنها كانت تبكى ثانية. فسألها: ماذا بك؟

أصابني رشح.

بل كنت تبكين.

لدى مشاكلتي الخاصة.

أهذا بسبب هيوغ! إنه فتى جميل الطلعة، وأنت تحبيه؟  
وحدثت به مدهولة، لون وجهها يذهب ويعود، ومدت  
يدها لتأخذ المال الذي أعطاه لها. ثم قفزت الدموع من  
عينيهما وغلبتها طبيعة نفسها على النفس التي حاولت أن  
تكونها، وقالت:

أجل. . أحبه. . ولكنه يطلب الكثير.

لا يطلب أكثر مما يطلب أي شاب، ولكن بعضهم لديه  
الكرامة بأن لا يطلب. .

وانفجرت بالبكاء، وأخبرته قصتها. . ولماذا فعلت هذا.  
. وماذا ستفعل الآن؟ هيوغ يحبها. ويريد الزواج بها،  
وهي تحبه بياس، وتحب الحياة والحب نفسه. ويكت بقوة،  
وأحس المعجوز باللم لرؤيتها حزينة هكذا، وفي النهاية قال لها:

لا تعذبي نفسك يا ليديا. . هذا أمر يحدث لكل فتاة  
جميلة. وأكثر من هذا، فهناك وسيلة للخلاص. فالرجال

يرغبون فى الحصول على أى شىء. ستتلمين هذا أيضاً.  
والطريقة للتخلص منهم إلى الأبد هو إعطائهم ما  
يريدون. تذكرى هذا.

وغطت وجهها بيديها وأسمرت خارجة من المطبخ.  
وسمعتها تنتحب وهى تقطع الباحة. . الطفلة المسكينة!  
الطفلة الصغيرة المسكينة! وتذكر أبى كنفرتون، وكم  
أرادها، وكم عانى من أجلها. ولقد ماتت العاطفة هذه  
بسرعة، ولكنها تركت جرحاً فى نفسه.  
وانهى احتساء الشاي.

وخرج إلى الشارع متجههاً إلى (المزرعة الحمراء)  
حيث يسكن هيوغ بارتون. فهو حتى الآن لم يشارك فى  
واجباته. وكان محظوظاً فقد وصل إلى هناك وهيوغ  
يحاول الخروج وقد ارتدى أبهى ثيابه. . فقال له آدم:  
أريد تبادل كلمة معك.

أنا خارج لتوى.

ارى هذا. ولكننى أريد كلمة معك.

وسد آدم عليه الطريق. فقال هيوغ بصفاقة:

فى الواقع أنا ذاهب لمقابلة حفيدتك.  
ونظر إليه آدم متفحصاً بخشونة.  
أعلم. لقد تركتني لتوها. ولذا تستطيع توفير دقيقة لى.  
أريد الحديث حول ليديا. . إنها تقلقنى.  
ولكنها على ما يرام. . أليس كذلك؟  
إذا سألتنى أقول لك إنك لست الشاب المناسب لها،  
وعليها ان تقلق .  
وكان يتوقع أن يكون هيوغ بذيئاً، ولكنه تمنى أن لا  
يكون، وقال هيوغ ببرود:  
لست أدري ماذا قالت لك ليديا، ولكن فيما يتعلق بى  
لم يكن ما جرى بيننا أكثر من غزل عادى. فهذه القرية  
مملة، وأردت شيئاً أتسلى فيه. على كل ليديا ليست من طرازى.  
سيكون ذا حظ لعين لو أن ليديا كانت من طرازك! أنا  
أطلب منك أن تتركها وشانها!  
وكان قد استشاط بالغضب، فأجابه هيوغ بوقاحة!  
اووه. . أقفل فمك!  
وتابع آدم:

حسناً . . ابعد عنها . . لقد تم بينكما ما يكفى من لقاء  
فى (درب المشاق) اللعين، وهذا لا يعجبني. ن وهذه  
النهاية، و لا شئ غير هذا!  
هل هى أرسلتك؟

لا . . لم تفعل . . إنها لا تعرف إننى ساتى إليك. ولكن  
وجهها الجميل متورم من البكاء وأنا لا يعجبني أن أراها هكذا.  
وقال هيورغ منتقداً بخشونة:

لم أكن لأفكر بأنك قد تزج نفسك. فانا لا أزعج نفسي!  
وفجأة انفجر بسلسلة من الشتائم، واستمع إليه آدم  
لداقيقة وعيناه تقدحان شرراً، وهو يصمر بأسنانه. ورفع  
عصاه وأمسك بهيورغ بارتون من رقبتة وجذبه إليه ثم  
دفعه إلى الأرض يتدهرج ببذلته الأنيقة فى بركة وحل  
للخنازير قريبة من مكان وقوفهما. ثم سار متثاقلاً . هذا  
سيعلمه درساً! وضحك وهو يسرع الخطى فوق الطريق،  
ولكن كان له التفكير السوى كى ينزوي مختبئاً فى دغل  
شجيرات. ومن هناك سمع هيورغ بارتون يقسم بأن  
سيقتله، وكان ينظف نفسه ويجرجر رجله فوق الطريق  
مقسماً بالانتقام. وغير آدم اتجاه طريقه، وعاد الى منزله



من باب الحديقة الخلفى. . واختفى قليلاً فى الظل ليتأكد أن كل شئ على مايرام. ثم تسلسل ليدخل داره. وأقبل الباب وراءه بالمدلاة. . وبدأ له أن ميوغ لم يلحق به ذهب لينظف بذلته الأنيقة.. وهذا سيستغرق وقت وجهداً.

هذه الليلة، ستنتظر المسكينة ليديا فى درب العشاق، ولن يأتى ميوغ. ولكن آدم يعلم أن هذا أفضل لها بكثير. وأفاق فى اليوم التالى قبل طلوع النهار كمادته.

وخرج إلى عمله، ووصل إلى بيت القسيس، وشاهد السيارة خارج موقفها العادى. وهذا يظهر أن واحداً من الزوجين كان فى الخارج وهو يمر قرب نافذة غرفة الطعام سمعهما يتحدثان. وكان تشارلز يقول:

أنت طفلة مدللة. . وأنت لا تعرفين شيئاً عن العالم أو الناس. . ومع عليك أن تعطينى رأيك فانت فتاة صغيرة وسوف تكبرين يوماً.

وكان فى صوت فيلوميل بعض التحدى و الألم. ألم لم يعجب آدم أن يسمعه:

أنت مخطئ تماماً، ولا تدرك هذا. أنت الطفل الصبى الصغير الذى لم يكبر أبداً.

ولم يجرؤ آدم على الاستماع إلى المزيد. فلهجتها أجفلة، واستدار ليكمل طريقه إلى خلف المنزل. من العجيب أن يفكر. بالقسيس كصبى لم يكبر أبداً، ولم يعرف لماذا، فالسيد لويس رجل طيب، ولكن آدم لاحظ أن أفكاره صبيانته أحياناً، وضعيفة في شكل ما، حتى إنها نسائية، ويدرت له فكرة، أريكته. . وتوسعت وكانت حول شيء لم يرد أن يفكر فيه.

أهناك شيء على فيلوميل الصغيرة أن تتحمله كما هو يعتقد؟ الجواب على كل هذه المشاكل يكمن في طفل، وتمنى لو أن هذا الطفل يأتي. . القرية سوف تشتري له مهداً كما اشترت للسيدة ديكسون التي كانت هنا من قبل.

ولكن. . افترضاً أن ما كانت تقوله صحيح. . والسيد لويس لا يزال والداً صغيراً، وهي لم تكن؟. .

ورفض أن يفكر بالأمر. .

وأنتهى عمله الشاق دون أن يعود للتفكير بالموضوع، ربما لأنه لم يسمع المزيد. وعندما عاد إلى كوخه وجد ابنته جوان تنظف، وكانت سعيدة لأن ميريام هوكنز قد عادت إلى منزلها، واعتقد أنها لم تكن مسروقة من

الروابط البيتية ولا من غرفة نومها هنا، وهذا ما آله. .  
وتسأل كيف لاية فتاة أن تنقلب هكذا على منزلها. . .

وتمنى لو أن حياة القرية لم تتغير بسرعة هكذا،  
وبكثرة. مع إنه من الجيد التخلص من ذلك الفقر القاسي،  
والخوف من الشيوخوخة، ومن أن يوضع العجوز في  
(الملجأ) فمما سمعه عن ملاجئ العجائز. بعضها ليس  
جيداً كما يجب. إنه محظوظ لأن عنده بيت، يستحم ساعة  
يشاء، ولديه دائماً الثياب الجيدة، وهذا ما يجعل الرجل  
يشعر بالفرق في حياته.

وأخذ ينظف حذاءه. . كان يعتنى به بشكل خاص،  
وسمع دقاً على الباب الخلفي ثم صوت مالكوف يسأل:

هل أستطيع الدخول يا أبى؟

أدخل يا هارى.

ونظر بفضول إلى ابنه، لم يكن من عادته المجئ في  
مثل هذا الوقت.

ما الامر؟

وجلس هارى في كرسي صغير مواجه لأبيه، وراقبه

وهو ينظف الحذاء. ثم قال:

إنه حول ليديا.

ألم تتوقف عن الخروج مع ميوغ بارتون؟

تقول هذا. ولم تعد تخرج ليلاً. . ولكنها دائماً تشعر  
بالغثيان.

ونظر الرجلان إلى بعضهما. . . هناك نوع واحد من  
الغثيان يعرفانه، وقال آدم مدهولاً بعد لحظة:

أه!

لم أكن أفكر بأنها قد تفعل شيئاً كهذا.

ولكن. . هل فعلت؟

إنها تشعر بالغثيان.

الرب من هذا الكلام كان بقساوة ربح أذار... وشرح  
هارى أن الأمر سيكون صعباً، ولقد فكر بالذهاب إلى  
القسيس لطلب النصيحة، فلا بد أن السيد لويس  
سيساعده. ولكنه تراجع لأن السيد لويس ليس لديه أطفال،  
والقرية كلها، سرّاً، تعتقد أن هناك شيئاً غريباً حول  
قسيس لا يكمل واجباته وينجب طفلاً منذ أول سنة زواج،

وال لوييس مضى على زواجهما وقت طويل. وقال آدم:

أجل. . .

الامر مقلق، ولقد أزعجني كثيراً.

ولست تدري بعد إذا كان صحيحاً.

والدتها سألتها، وردت عليها بلوم.

آه. . . ولكنهما دائماً هكذا. . . منذ متى بدأت تخرج معه؟

وفكر هارى أن هذا تم فى أواخر الحصاد. وذلك فى

أواخر تموز. . . ولقد دخل أيلول الآن.

وهل تحدثت معها؟

فكرنا. . . إيتك. . . ربما أنت. . . ؟

أنا. . . ؟ إنها لا تحب أن أزعجها، وهى ابنتك. . .

أجل. . . ولكن علينا أن نعرف. . . ربما تستطيع جوان

أن تسألها؟ لقد كانت جوان دائماً لطيفة مع الطفلة.

حسنأً. . . جوان لن تسألها.

ولم يكن آدم يرغب فى أن تتالم ليديا، فلو أن أحداً قد

بدأ يضايقها بالأسئلة فهذا ما سيحدث.

ولكن علينا أن نعرف!

آه!

ونفخ آخر نفخة على حذائه ثم مسحة بالخرقة، وقال:

حسناً إذاً، سوف أسألكها بنفسى.

الأمر أسهل عليك، لأنك طاعن فى السن.

لو سألتنى لقلت لك أن لا شىء سهل، وخاصة لأننى عجوز. فالأمر صعب جداً على، وكأنك تقتلع الظفر من أصابعى.

وودع آدم ابنه.

وظل يفكر بأمر سؤال ليدى إلى أن أوى إلى الفراش، وهكذا تخلص من المشكلة بالنوم. ولكن عند الصباح عاد يتذكر وعده، وأحس بالكدر ثانية. وخرج إلى منزل آل بينيث ليعتنى بمساكب الخضار، ثم ذهب إلى بيت القسيس حيث نظف الأسطبل. وهو يعمل أخذ يحس أكثر بالارتباك من المهمة التى أمامه. من المؤكد أن (مود) تستطيع سؤال ابنتها؟ فهذه وظيفتها، وليس وظيفته. فلماذا قال إنه سيفعل؟ ولكن بما إنه قال إنه سيفعل، فسوف يفعل. وعاد ببطء إلى منزله، ولم يستلذ بتناول الشاى.

ووصلت ليديا بعد ساعة من الزمن. ووصلت إلى زاوية الباب، وأول مفاجئة له، إنها غيرت تسريحة شعرها وأصبح لونه بنياً. فقد ولدت شقراء. وأصبح شعرها فضياً فيما بعد، والآن، أن يصبح بنياً، فهذا ما أربب آدم، ولكنه لم يقل شيئاً. . وتجاهل هذا. وقال:

انتناولين فنجان شاي معي؟

أشعر بتوقعك يا جدي، والطعام يجعلني أشعر بالغثيان.

الطعام يجعلك تشعرين بالغثيان؟

وأحس بالدهشة، فهناك نوع من الغثيان لا علاقة له بالطعام وهذا ما يسعى للسؤال عنه.

ومنذ متى يحدث لك هذا؟

يجئ هذا مع نوبات، وهناك هذا الألم في خاصرتي.

ولست ما تحت خصرها، وبدأت نحيلة أكثر، وهذه إشارة سيئة. . . وسألها:

وما نوع الألم؟

ليس له علاقة بنوع الطعام. فأننا أخاف من أكل أي شيء.

ثم قالت شيئاً علم أنها كانت تمشي شرقاً لتقوله:

أنا أعرف ما تظنه والدتي.

وهل ما تظنه صحيح؟

لا . ليس كذلك . لقد كان هيوغ رهيباً معي! إنه لا يحب الشقراوات، بل يحب من شعرهن أحمر. ولهذا أبدلت لون شعري.

آه . .!

لقد طلب مني مراراً . . وهو ليس بطيئاً في تقدمه، ولكن أمثاله دائماً هكذا. أليسوا كذلك؟ أمي تصيح ووالدي غاضب مني . ولكن الأمر ليس كما يظنون. فلست غبية لهذه الدرجة. أريد بالطبع . . ولكنه يستمر في طلب أن يختبر حبي.

هذه معزوفة قديمة.

وابتسم آدم وأخذ قطعة بسكويت أخرى . . إنه يثق بهذه الفتاة ويكل ما تقوله. ويكت قليلاً، وهذا لن يؤذيها، ولكن عندما اقترح أن يفحصها الدكتور ميرديث قالت



إنها لا تحب أن يلمسها، وليس له شأن بها، ولو طلب  
رأيها به فستقول أن عمثها جوان هي من تلاحظه، وهذا  
الكلام أذهل آدم المجوز، فهذه أخبار جديدة عليه.  
هذا الكلام كذب. إذا كان هناك كلام.

من يعيش أكثر سيكتشف الحقيقة، أو الكذبة.  
وعاودها الالم فجأة، وجعلها تتأوه، وراقبها ويعد  
لحظات شهقت قائلة:

عندما يأتي الالم أحس أنني ساموت. يمسنى تماماً  
فى الوسط. إنه فظيم. .

واختفت بعد هذا. وجلس آدم يحرق فى حقيبة النابلون  
التي تحتوى على فطيرة اللحم والبيض، إنها فتاة لطيفة،  
مع إنها تكلمت بذلك الهراء عن عمثها والطبيب. . وانتظر  
قليلاً لتبتعد ليديا، ثم خرج واتجه إلى منزل هارى.  
المشكل مع ولده إنه لم يرث قوته، فهو مطيع لأمراته  
وأمراته وبناته من من يسيرنه. ومن طبيعته الطيبة أن لا  
يقول لا.

وكانت العائلة مجتمعة، حتى ليديا، وكانت عيناها حمراوين ودلائل البكاء تشق طرقاً على خديها. وقال آدم إنه قدم ليرى هارى بخصوص سلة كبيرة قديمة بحاجة لأصلاح، ثم خرجا ليقتا قرب مستودع الحطب ويتكلمان. وقال: أريد الحديث عن ليديا. الفتاة مريضة ويجب أن يراها الطبيب.

ولم يكن هارى مستعد لأن يوافق على هذا، وعلم آدم أن مود هي من أثرت عليه، أسوأ ما فى النساء دائماً تحاولن التأثير على الرجل. وقال لابنه:

إنها ليست حامل. وأنا واثق من هذا. ولكن ليديا يجب أن تقابل الطبيب. فشئ ما يزعم معدتها.

وكان كلام آدم جازماً. فقال هارى:

حسننا سأخبر (مود) ما قلته. ولكن لن يعجبها هذا.

وصاح آدم بحزم أكثر!

أه! هناك تأثير كبير لمود فى حياتك، لو تسألنى. قف على قدميك لوحدهك يا ولدى، وليكن نظرك أفضل من هذا.

فالنزوجة الطيبة، تبقى أوجه طيبه ولكن كلهن (نفاقا).  
ولكن إذا لم تحضر طبيباً لا ينتك فستجد نفسك في ورطة  
سريعاً. وورطة أكيدة، وسيكون أنت من يتلقى الملامة.  
وتركه وخرج من السقيفة، لعلمه أنه قال ما يكفى،  
وأخذ ضباب النهر يهزه قليلاً وهو يسير نحو بيته.  
ولكن، بعد يومين، وكان الدكتور ميرديث في زيارة  
السيدة هوكنز، حضر هارى بسرعة ليقول له أن ليديا  
أغشى عليها فى المطبخ، ولا شئ يوقظها. حاولوا صفعها،  
وحرقوا امام أنفها ريشة ديك. .  
وحضر الطبيب ليجد ليديا مستلقاة على الصوفا فى  
غرفة الجلوس وقال لمود:  
لماذا لم ترسلى بطلى من قبل؟  
زوجى كان مشغولاً!  
ولم تكن مود من النوع الذى يتقبل الملامة، ومرر  
الطبيب يده فوق جسد ليديا.  
إنها الزائده، ويجب إن تستخرج. . . واليوم.

وأصبح لون مود أبيضاً كالورق مع رعب بارد:

اوه. . يا إلهي!

وقد يكون الدكتور شاباً، ويلبس الثياب الغالية، ولكنه يقوم بعمله جيداً، فأرسل مابيل كي تتصل بسيارة الأسعاف.

لا تعطوها أى شئ قبل حضور الأسعاف. . ولا أريد أن تعطوها أى مسهل، فأنتم تؤذون أنفسكم بهذا.

وعزت مود نفسها بالاعتقاد بأنه لا يعرف شيئاً. فمعظم هؤلاء الأطباء لا يعرفون شيئاً حقاً. وهي تعلم أنهم إنما يسممون الأمور ليخيفوا الناس. وهي لن تعترف بأنها أعطت ابنتها ما يكفي من أقراص دواء حتى الآن، وكيف له أن يعلم؟ وقال لها:

إفعلى الآن ما قلته لك تماماً.

أجل يا دكتور. . بالطبع يا دكتور.

وخرج.

## ستة أبواب

وخلال ساعة، كانت القرية كلها تعرف أن ليديا مريضة حقاً وليس ما كانوا يأملون به. فلماذا استطاعت أن تهرب من أقويلهم؟ السيدة وايت، في مكتب البريد والدكان الملحق به، كانت أول المتقولين تمرر الأقاويل مع عطية (سلمون) أو قطعة ثلج. فهذه هي طريقة عاملة البريد. كان مخيباً لآمل الجميع أن لا تصبح عائلة جايمس جزءاً من طاحونة الأقاويل، إنهم خبثاء وبناتهن لا يقعن أبداً في المشاكل، ولا يوجد (سكير) في العائلة، ولا حتى (محتفل بيوم عيد) وهذا أقل ما يمكن عذره.

آدم المعجوز كان ذا سمعة رائعة، ولا أحد يستطيع مناقشة حقوقه بأن يكون (أب) القرية. ولكن أليس هناك شيء غريب في ذهاب ابنته جوان لتعيش في مزرعة

هو كنز؟ وكذلك الامر لابنة هارى فى ذهابها ليلة بعد ليلة إلى (درب العشاق) مع ذلك الشاب من المزرعة الحمراء؟ ثم تشعر بالغثيان بعض الأحيان؟ هذا كله يعطى دفعا لتأويل المعتادة.

وكان تشارلز لويس مساعداً جداً. وعليهم أن يعترفوا بأسأ رجل لطيف. فقد حضر إلى منزل هارى. وهو من جعل مود تهذا، وتعرف أخيراً (بملح الكبد) بالأقراص المسهلة الأخرى التى أعطتها فى الصباح لليديا. ووصلت الأسعاف فى الوقت المحدد، فذا الفتاة مع والدتها. وكانت ليديا قد أصبحت بلون أبيض أزرق من شدة الألم. وقالت مود إنه كان على الطبيب أن يعطيها شيئاً ليقف ألمها، بدل أن يصمم على إجراء العملية فوراً. . أليس كذلك؟

وقال السيد لويس لليديا وهو يسير إلى جانبها وهى فى الحمالة:

ستكونين بألف خير يا ليديا. . أنت تشعرين بالألم الآن، ولكن عند الصباح ستكونين فتاة أخرى.

كل القرية صلت من خلف الستائر لها، والوقحين منهم

وقفوا أمام أبواب منازلهم يتفرجون. ولكن القرية كلها كانت معجبة بواقع أن اليد لويس كان يحاول المساعدة، ويقوم بعمله على أفضل وجه. . وغادرت سيارة الأسعاف القرية بسرعة، واقتترح السيد لويس أن تصنع مابيل لوالدى كوب شاي عندما يعود إلى المنزل. ثم عاد إلى منزله. وأدركت فيلوميل كم كان لطيفاً. ربما أسوأ ما فى الأمر أن تشارلز رجل لطيف جداً. وقامت بصنع عشاء ممتاز له، وعندما رآه ابتسم لها:

إنها معاملة جيدة الليلة!

لقد أنهكت نفسك مع حفيدة آدم.

ولكن حفيدة آدم هي المنهمكة!

وضحك. وراقبته وهو ياكل. . هل تستطيع لومه ولكنه الرجل الذى جعلها سجيئة مدى الحياة، والقيود حولها إلى الأبد. فهل هي مخطئة؟ الجهل أسوأ من المعرفة. لو إنه فقط يبحث معها الأمر، فقد يريح هذا من الضغط النفسى عليها. ولكنه لن يفعل، فهو يحاول الادعاء بأن شيئاً من هذا لم يحدث، ولن يواجه الحقيقة. أم إنها هي من تزيد هذه الحقيقة سوءاً؟

ووصلت بطاقة بريدية من كلاين عند المساء، يقول فيها  
إنه سيحضر يوم الأحد ليحضر العظة التي يلقيها  
تشارلز. . وقرأت هذا وهي تضحك في سرها. فقد  
أفرحها هذا، ولكن، من جهة أخرى، لم تكن تريد أن  
يأتى، لأنه خطر. لقد أصبحت واعية لحقيقة إنه رجل يجب  
أن لا تقابله. وقالت لتشارلز بشراسة:

لا أريده أن يأتى.

ولماذا؟ أظن لأنه قال إنه يريد سماع عظتى؟

بالطبع لا! ليس الأمر هكذا بالمرّة.

يبدو لى هكذا.

رُسرت فجأة أن يومها قد تغير، ولم تعد مسرورة  
بصينية الطعام التي حضرتها له. . فصمتت. . وعندما  
انتهى. . أخذت الصينية، ثم غسلت يديها وتأكدت من  
تحضير كل شئ للفقار. فعندما تحضر كل شئ لا  
تستيقظ بسرعة فى الصباح لتحضيره.

وخرجت بعد ذلك تتمشى. . بوصولها إلى مزوعة  
هوكز وجدت النوافذ مفتوحة، وجوش لم يكن فى المنزل.  
وكانت جوان جالسة تخطى بلوذة جديدة ومريام تراقبها. .



ثم قالت لها:

لكنك سمعت لو كنت بقيت مع والدك ولم تعودى إلى،  
بعض الأحيان أظن أنني لم يكن يجب أن أتركه.  
تتركيه؟ هذا يعجبني! أنت تقومين ما بوسعك لتنظيف  
بيته، وأعطاه الطعام الجيد. ولست أدري ماذا يتوقع أكثر؟  
إنه رجل عجوز.

لن يشكرك على قولك هذا! استيقى حيك لمن يريده.

هل أسمع شيئاً ما في الخارج؟

ربما يكون جوش. . ذلك السيد النكرة.

لا. . ليس جوش.

ووضعت الخياطة من يدها وقفزت إلى الخارج لترى  
السيدة لويس تبتعد عن المنزل فأسرعت خلفها:

أهناك شئ سيدة لويس؟

لا. . هل أزعتكما؟ كنت أنمشى ليس أكثر. فانا أحب  
المشى. حتى ولو كان الوقت متأخراً.

في الريف أعتقد أن الجميع ينام باكراً. . الوقت لم

يتأخر بعد.

وتابعت فيلوميل طريقها، وراقبتها جوان، وعندما استدارت لتعود شاهدت سيارة قادمة من أسفل الشارع، ثم توقفت أمامها وشاهدت جوان الدكتور ميرديث فقال لها: مرحباً جوان. كيف حال السيدة هوكنز؟ لقد حضرت لرؤية شقيقك وزوجته ولدى أخبار عن ليديا. مسكينة، لقد انتزعوا الزائدة في الوقت المناسب. معه، كانت جوان تقول ما في خلدنا دائماً.

القرية كلها كانت تظن أنها حامل. فهذه هي الطريقة التي يتحدث بها الناس هنا. ووالدي كان مرتعباً. ولكنها كانت الزائدة.

ولكن البعض لن يصدق!

وهل تلتزم السيدة هوكنز بالتعليمات؟ إنها مهمة.

أنا أؤكد من أنها تفعل، وحتى الآن لا بأس.

أستطيع الثقة بك.

أجل يمكنك ذلك.

وسارا نحو بوابة الحقل المنخفضة التي تنفتح على

المزرعة نفسها، من الغريب أن تحس جوان بالسعادة، وكأنها راضية بالحياة. شيء لم تحس به من قبل. ومع الأحساس شعور بأنها تنتظر شيئاً مبهجاً ليحدث.. لم تكن معتادة لأن تتحدث مع هذا الصنف من الرجال، فقد أمضت حياتها مع رجال القرية، مع جوش، والدها، ميريام، في عملها كانت وكأنها تخدم الكهنوت، وإذ لم تكن مساوية لهم. كانت تحب عملها، ولن تغيره مقابل الدنيا كلها.. ولكن، هي لازالت خادمة. وفجأة لم تعد تشعر كذلك.. وسارا جنباً إلى جنب، وتحديثاً.. وأحست بالراحة وقال لها:

لقد كنت لتوى في مزرعة (كولد كومفورت).  
تلك التي على الطريق المسيجة ولها باب فوق التل؟  
لا بد إنها آخر طريق لها بوابة في انكلترا.  
هناك ستة أبواب. لقد عدتها. في المرة القادمة  
سأطلب منك أن تأتي معي، لتقفزي من السيارة وتفتحيها  
لي، أترغبى في هذا؟  
أجل بالطبع..  
وأحست بالحمرة تغزو وجهها فحاولت إخفاء

اضطرابها.

لا أستطيع فهم لماذا لا يضع المزارعون سياجاً لأجل  
الماشية... ولكن أظن أنها تكلف كثيراً.

إنها مكلفة بشكل فظيع.. هل تأتين معى ليلة غد؟  
بالطبع.

وفجأة أصبحت المعرفة علاقة بينهما. متغيرة عن روتين  
القرية، وعن الأحلام التي تمر خلال الليل، وعند قدوم  
وذهاب الحياة، إنها علاقة حقيقية وإيجابية. وأحست  
جوان بأنها فتاة كبيرة فى السن، وكرهت هذا الواقع..  
مغامرات الحياة تموت مع سن المراهقة.. ولكنها الآن  
عادت إلى الأحلام. إدوارد ميرديث وسيم، وله يدان  
جميلتان، وجوان معتادة على رجال ليس لهم أيد جميلة،  
ويدها جذبتاها.. ولكننى حمقاء.. لابد إنه سينسى، وإن  
يأتى ليأخذنى ليلة الغد.

ولم يبق كثيراً مع ميريام. وذهب... ونظرت ميريام إليها:

ما الأمر يا جوانى؟

لا شئ.

تبدین سخیفة.. مثل الفتیات عندما یقابلین الشبان.  
فلدیك تلك النظرة المضحكة فی عینیك. والقسط یحصلن  
على نفس النظرة ایضاً.

وتمنت جوان لو أن میریام لم تقل هذا. وغضبت  
لأن عیناهما بدتا وكأنهما لقطة مفرومة.  
هذا كلام فیة كثیر من الهراء! لدی بعض قطع الثیاب  
الصغیرة لأغسلها اللیلة، لأننی غداً ساكون مشغولة.  
ولم تنتظر الرد، فقد أصبحت الآن غاضبة، ومنذ  
دقائق كانت سعمیة جداً بالحب.

طوال الیوم الذی تلا كانت قلقة من إنه لن یأتی لیأخذها،  
ولكنه جاء. وسمعت سيارته (تزمز) وهی تقطع الطریق  
وخرجت راكضة لتقابله.. الجانب العقلانی منها كان  
جاهزاً، ولكن الجانب المتدننى حتى الأرض منها كان یقول  
لها إنها غیبة. ومن فوق كتفها، وهی اللحظة الأخيرة قالت لمیریام:  
أنا ذاهبة فی مشوار إلى مزرعة نائیة.. مسافة بعیده.  
وبوجود كل تلك الأبواب سوف نتأخر.  
وشاهدت تلك النظرة العادة وكأنها الخنجر على عینی

ميريام. العجب والامتصاص فى نظرة واحدة وقالت ميريام:

انتظرى نصف دقيقة؟

ولكن جوان لم تعطها هذه النصف دقيقة بل ركضت  
وتسلقت إلى داخل السيارة. وقالت:

كنت أعلم أنك ستأتى.

وها أنا هنا.

وتملكها شعور طفولى سخي، وخجلت وكأنتها الطفلة.  
كان يومه مشغولاً، كما قال، مع كل تلك المنازل المعزولة و  
المزارع المستوحدة. ولعن مزرعة (كولد كومفورت)  
والسيدة التى تعاني من أمراض الكلى فيها. لقد أخافته  
من أن تموت مرات أكثر من أن يستطيع العد، ولكنه  
دائماً يعود إلى زيارتها. فيوماً ما سيأتى ساعة حاجتها  
إليه الحقيقية، والمستشفيات، شكراً للسماء، تعمل ليلاً  
ونهاراً. وسألته:

لماذا لم تفتح عيادة كبيرة فى المدينة؟

لأننى فتى ريفى والذى كان مزارعاً.

مزارع؟

مزارع عامل، كما كان جدى كنا نسكر فى (ليسكر  
تشاير) وكنت أحب ذلك المكان، وأكره الحياة فى المدينة.  
وكذلك أنا.

واقع أن والده كان مزارعاً، قريبهما من بعضهما..  
وعلى حين غرة لم تعد خائفة منه. ذلك الخوف ربما كان  
من قميصه الأنيق، وبذلته ذات الخياطة الرائعة، وسيارته.  
ولكن ليس من الرجل نفسه، لأنه جذبها، والآن تحس  
بالسعادة والأطمئنان، والشعلة فى قلبها، والفرح الصافى  
لكونها معه، وفى الوقت الذى شاهدت أنوار المزرعة أمامها  
كانا قد تعرفا ببعضهما أكثر مما اعتقدت أن يكون ممكناً.

واستدار نحو طريق للعربات قادهما إلى الباب  
الرئيسى للمنزل ولا بد أن الرجل هناك سمر صوت  
السيارة فسارع للاقائها!

شكراً لله إنك آتيت يا دكتور.

وهل حالتها سيئة؟

سيئة جداً يا سيدى.

ولم يترد ادوارد ميرديث، بل أمسك حقيبته ودخل

بسرعة. حتى إنه لم يقل لجوان أن تنتظره، بل تركها هناك. ولاحظت خوفه على مريضته، وراقبتهم يدخلان ثم يغلقان الباب ورائهما. ثم شاهدت ظلهم فوق الستائر في إحدى غرف النوم في الطابق العلوى. وبعد طويل عاد ادوارد ميرديث إليها.

أنا أسف ولكننا سنتأخر.. إنها غلطتى، ما كان يجب أن أحضرك معى. ولكن سيارة الأسعاف قادمة.

بوجود كل هذه البويات ستكون الطريق سيئة لها.  
أعلم، البويات ستؤخر كل شئ.

لا تزج نفسك هكذا.

ولا حظت أن جبينه مملوء بالمرق، وعندما تتوتر أعصابه لم يكن يبدو مختلف عن بقية الرجال. ومدت يدها لتلمس يده بلطف:

القلق لن يفيد.. خذ الأمر بهدوء.. فهذه الطريقة أجدى.

ونظر إليها بوجهه التعب.

شكراً لك، إنك فتاة لطيفة. أتعلمين هذا.

هل حالتها سيئة كثيراً؟



سينة بالفعل.. مسألة حيا أو موت.. ولكن أشكر الله  
إننى قمت بدورى خير قيام.  
وشاهدا أمامها سيارة الأسعاف تشق طريقها عبر  
البويات، تقف ثم تتابع الطريق. وأحست جوان بالأسى  
على المرأة...

وعندما لحقا بسيارة الأسعاف قال لها:

هذه البوابة هى الأخير.

أعلم.

أخشى أن أكون قد أخرتك كثيراً.. لم يكن الأمر فى  
يدى. هل سيكون آل هوكنز غاضبين.

هو سيكون قد ذهب إلى الفراش، ومiriam قد تكون منتظرة.

أتدركين ما قد تظن إننا كنا نفعل؟

أجل بالطبع.. ولكن لا تقلق.. أستطيع تحمل الأمر.

أحب كثيراً أن نكرر رحلتنا هذه.. لقد أحسست بالسعادة.

وأنا كذلك.

وان تعترف أبدأ كم كانت سعيدة.

وكانت ميريام هوكنز تنتظرها، وعيناهما تلمعان

بخشونة، لقد كان الوقت قد تأخر بشكل مفض، وكانت  
تكره التفكير بشجار. وصاحت بها:  
أين كنت بحق السماء؟ ومع ذلك الرجل البغيض أيضاً.  
وأحست جوان بالأنزعاج:  
أنا أسفة.. المسكينة السيدة فينش فى مزرعة (كولد  
كومفورت) كانت مريضة بشكل خطير. وكان علينا أن  
ننتظر سيارة الأسعاف.  
لقد سمعتها تمر منذ نصف ساعة.. وماذا كنت تفعلين  
طوال الوقت؟  
أليس هذا من شأني؟  
ميريام كانت امرأة مثيرة للشقاق تشق طريقها كما  
يحلونها فى الحياة فأجابت بشراسة:  
لا.. ليس الأمر هكذا.. لقد أبقيتينا نصف الليل ونحن  
ننتظرك.. وتكرر جوش كثيراً حتى إنه ذهب ليناام..  
الخروج مع رجل هكذا، وأنت تعلمين ماذا سيقوله الجميع  
عما كنتما تفعلان؟  
القرية لديها سلاح مناقشة قوى، وضد هذا السلاح

سوف يتحطم درع جوان. وردت بهدوء:  
أنت مخطئة جداً، بالطبع. ولكن انتهى الأمر. وحان  
وقت ذهابنا إلى النوم.

ولكن ميريام أرادت متابعة الحديث، وأطلقت سلسلة من  
شتائمها المعتادة.. إنها تكره الرجال. وهذا يعني كل  
الرجال! كانت تظن أن الدكتور ميرديث قد خرج مع  
جوان ليحصل على ما يريد منها، وقد قلب لها رأسها  
بكلامه المعسول. كل الفتيات رخيصات! وفي النهاية قالت  
جوان إنها لن تستمع إلى كلمة واحدة من هذه الترهات.  
وذهبت لتنام.

من الجيد أن في الغد دورها للذهاب إلى منزلها  
للتنظيف.. زوجة شقيقتها كانت تقوم بعمل الكثير، ولكنها  
هي، لديها يوم في الأسبوع لتعمل هناك. وصحت قبل  
طلوع الضوء. وتحركت بهدوء إلى الطابق الأرضي.. عادة  
كانت تنتظر إلى ما بعد الفطار.. ولكن بسبب ما حدث  
ليلة أمس ذهبت اليوم باكراً. وما أن وصلت البيت حتى  
سمعت والدها يقطع الحطب، وهذا يعني إنه نسي تقطيعه  
ليلة أمس وأنه لم يعد لديه حطب للموقد.

سأفعل هذا عنك يا أبى.  
ونظر إليها وفمه مفتوح، لقد نسى أن اليوم هو دورها  
لتنظيف البيت، وهى لا تحضر عادة قبل الفطار.  
هل أنت عائدة إلى هنا يا جوانى...؟  
لا... ولكننى استيقظت باكراً... لا تقلق يا والدى.  
فهز رأسه، والتقطت الحطب الذى قطعه:  
أنت على حق يا فتاتى، سأحضر لك البيض للفطار  
وسأختار الأفضل منها.  
يوم أمس بالضبط سافر آل بينيث إلى شمالى فرنسا،  
والبيض من مزرعتهم... وسيشتاق إليهم.. ومن الجيد أن  
جوان قد أتت اليوم! وبخلت إلى المطبخ وأشعلت النار، ثم  
لحق بها يحمل بيضة كبيرة ذات صفارين. وجلس ليتناول  
الشاي الساخن. وقال:  
رائع جداً أن تعودى لتناول الإفطار معى يا فتاتى...

## الحقيقه المره

حضر كلاين ستيغنز فى زيارة مفاجئة.

واختار بعد ظهر يوم كان فيه أهل القرية يطبخون  
مربى توت العليق. فى مثل هذه القرى الريفية مثل هذه  
المناسبات البسيطة تسيطر على الحياة الشخصية. ولم  
يكن أمام فيلوميل وقت حتى لموسيقاها التى تعبدها. ولا  
ساعة واحدة للقراءة.

كان كلاين قد أرسل بطاقة بريد يقول إنه سيكون فى  
الجوار فى وقت ما خلال الأسبوع. وفكرت وهى تتلقى  
البطاقة من ساعى البريد: ها قد طارت سمعتى فى  
الهواء! كانت تأمل أن يؤخر كلاين الزيارة إلى آخر  
الأسبوع.. ولكنه جاء اليوم.

اليوم هو الوقت الوحيد الذى أصبح فيه المطبخ غرفة

جلوس لها.. كان غرفة غير مريحة و لا تحصل على الشمس أبداً، ولكن كان لها مطل على منظر جميل: المروج الخضراء، والمزارع المنتشرة هنا وهناك حول الحقول، والشارع يتصاعد إلى أعلى التل لينضم إلى الطريق الرئيسية، البعيدة قليلاً.

أوعية طبخ المربي كانت على النار، وهذا هو الأمر المناسب، والمطبخ كله كان معجوقاً بالحركة. وكانت هي تلف نفسها بمئزر كبير أزرق، عندما دخل عليها كلاين بهدوء. حتى إنها لم تسمع صوت سيارته تقف عند الباب. ولم تدر سوى إنها حسّت بسعادة غير عادية لرؤيته. وقال:

لقد قرعت الجرس كالمجنون ألم تسمعي؟

باب المطبخ مقفل.. لقد وضعت المربي فوق النار!

رائحته شهية جداً.

كان يرتدى ثياباً ريفية، بنطلون واسع وسترة رمادية، أزوارها عالية وعصرية جذابة. تشارلز يرتدى نفس الثياب لسنوات. ولا يغيرها مع (الموضة) ولا حتى مع الفصول. في بعض الأوقات كانت تتوق لأنه ترى من هو أصغر منه سناً، وأمدح، وأكثر ابتهاجاً، ويلبس الثياب

الجميلة المثيرة. وتشارلز نسي كم مر عليه من زمن منذ  
كان في المدينة.. ولكن كلاين شاب مختلف. وقال لها:  
سأساعدك على وضعها في البرطمانات.  
ستسبب لنفسك بورطة.. ثم أن مغسلتنا صغيرة لهذا العمل.  
لا أمانع.. أماننا النهار كله.. ويمكنني أن أتأخر.. أو  
ليس هذا نوع من المرح؟

عظيم!

ولكن تفكيرها سافر بها إلى الأمام.. وللمرة الأولى  
أحست بالخوف. فتشارلز لن يعود قبل العاشرة مساءً،  
لأنه ينوي زيارة عمته العجوزة في بلدة قريبة. وعرفت،  
وقلبها يخفق، أنها وكلاين سيكونان لوحدهما في هذا  
المنزل الكبير.. وهذا أمر خطر. وخافت. ثم قالت بسرعة:  
كنت سأخرج عند المساء.

حسن جداً. خديني معك، والآن هل أكتب اسم المنزلي  
وتاريخ صنعه على هذه الأوراق؟

إفعل! ساقى في المنزل.. من الرائع أن أراك ثانية. ا  
في داخلها.. فكرت أن عليها أن تفعل شيئاً لتوقف كل  
هذا، شيئاً تستطيع أن تتخلص عن طريقه. فقد يحدث أى

شئ لهما وهما لوحدهما .. ثم وجدت إنها مسروقة أكثر  
لإنهاء عملها بالمربي فى وقت أسرع بكثير مما توقعت. وبأنها  
نسيت أن تخلق تلك الأعذار. وعينها المربي معاً، وكانت  
رائحته لذيذة، وبقي القليل منه ليتناولان مع الشئ.  
وأخذا الشئ معهما إلى غرفة جلوسهما الخاصة الصغيرة.  
كانت قد خلعت المنزر، ومن تحته كانت ترتدى ثوباً  
صيفياً له أكمام قصيرة، فالعمل فى طبخ المربي حاراً  
جداً. وقال كلاين:

تبدين بهجة للنظر.

أرجوك.. لا تكن سخيفاً.. خذ كعكة أخرى.

هل صنعتها بنفسك؟

اجل.. صنعتها بنفسها، ولكنها أحست أن من غير  
الحكمة قول الحقيقة الآن.

لدينا مخبز جيد جداً هنا وهو يخبز الكعك بشكل  
خاص يوم الجمعة.

كم اتمنى أن يكون بجوارنا مثل هذا المخبز! ولكن  
هذه الكذوبة أليس كذلك؟ أعلم أنك أنت صنعتها... طعمها  
يشير إلى أنها من صنع بيتى. أتظنين أننى غيى؟



لا.. ولكننى أظن أننى أنا الغبية!  
وجلسا هناك معاً يضحكان، وأحست بالبهجة،  
والأثارة، والحيوية، وبالسعادة الكاملة. وجلس كلاين  
يراقبها بعينيه اللوزيتين.. وسألها دون توقع.  
لماذا تزوجت تشارلز؟  
وقالت معترفة قبل أن تستطيع إيقاف نفسها:  
لست أدري.  
ثم تذكرت متأخرة ذلك المبدأ العام الذى يحتم عليها  
أن تكون سيدة للصمت.. ولكن كان ما تفوهت به هو  
السيد. وسألها:  
أنت متزوجة حقاً؟ شئ أكثر من الجرس أو الكتاب أو  
القنديل.. وكل هذه الأمور.  
ومرة ثانية أخذت الكلمات التى لا تريد أن تتفوه بها  
زمام أمرها، فقالت معترفة:  
ليس حقاً..  
وفى لحظة واحدة تحطم ما بينهما من الحواجز،  
وانفجر الخزان، حتى أن طوفانه أغرق كل حياتها. وفى  
ذلك الطوفان خرج الكثير من الكلمات. حتى أنها لم تكن

لتصدق بأنها قادرة على قولها. وضاعت فى إحباط  
متشوش، وفى الجوع والرغبة. وفى بؤسها، وحرمانها  
المدقع من الحياة، ومن جزء مرتفع تعلم أنها لن تستطيع  
تسلقه، ومن نظرة طفل تعلم أنها لن تنجبه أبداً! ولم  
تستطع أن تبقى كما هى.

وعندما توقفت عن الكلام. أمسك بيدها وضغط عليها،  
ثم قال بهدوء:

كنت أخشى هذا.. ربما خمنت وعرفت، ربما عرفت..  
لست أدري..

لم يكن عليك أبداً أن تعود..

اوه.. بلى.. كان يجب أن أعود، فلدى كل الحق أن  
أكون هنا.. إنه حق حبي لك.

ولكننى متزوجة.

مثل هذا الزواج يمكن إثبات بطلانه وانفساخه.

واستدارت لتتظر إليه:

ولكن فكر كيف أن هذا سيؤلم تشارلز.. لن يستطيع  
الاستمرار فى العيش هنا. فكر بالأقاويل و الفضيحة! لا  
أستطيع فعل هذا. فلن يكون انصافاً له.

ولكنها الطريقة الوحيدة لخلاصك. لا يمكنك الحكم على نفسك بما يوازى الأعدام... فهذه ما هى عليه حياتك هذه. لن أخرج تشارلز بهذه الطريقة.. لقد كان طيباً جداً معي. فقط بطريقته الخاصة.. كان يسود عليك، يعاملك كالطفلة لأنه لا يجرؤ على الاعتراف بآنك امرأة.. فهو يعرف أن المرأة تريد ما لا يستطيع هو أن يعطيه. ومن واجبه أن يثبت مركزه.. ألسنت على صواب؟ قد تكون على صواب، ولكننى أنا أيضاً على صواب. فإذا فعلت هذا، ساكون و كأننى أطلعته فى ظهره.. وأنت تعرف هذا. وأخذ ينظر إليها.

أنت تقبلين حياة كلها مزيفة. وتعتقدين أن كل ما عليك فعله هو الصبر على أسنانك لتحصل على ما يقدمه لك المستقبل. ولكن الحياة ستجعلك تدفعين غالباً.

وتقدم منها، ثم قبلها، ولم تقل شيئاً. لم يكن يجب أن تترك الأمور تصل إلى هذا. كان عليها أن توقف الحديث فى وقت أبكر عندما كان لديها الفرصة. لأنها كانت تعرف أن الوقت ليس مناسباً. ربما قد أمت بصرها لأنها كانت

جائعة للعاطفة. ربما لم يعد الأمر يهمها، وما يهم حقاً أن لديها الآن هذه الساعة، وبطريقة ما، لم تستطع أن تتراجع. ربما إغراء الربيع والصيف لا يمكن أبداً مقارنته مع حرمان السنين.. كانت تحس بالخريف مقبل عليها.. وتحس بالفرص تموت أمامها. وقال لها:

أريد الزواج منك، يا حبيبتي.

لا.. هذا لا يمكن.. إنه أمر خاطئ جداً.

وطوال الوقت كانت تحس بأنّها محمولة فوق موجة من مد عال جداً، ومع أن وعيها كان يسعى لتجنب هذا المد، إلا أنها لم تكن تتخذ الخطوات القوية الكافية.

في هذا الوقت تماماً.. دخلت مود جايمس.. لتقوم بغسل الأواني التي استخدمتها فيلوميل في صنع المربى.. فزوجة هاري مشهورة بمهارتها في مثل هذه الأمور، وكانت قد وعدت فيلوميل أن تقوم لها بهذا العمل بعد انتهائها من طبخ المربى خاصتها. فكيف نسيت فيلوميل هذا؟ لا بد أنها رأتهما جالسان معاً على الصوفا، وصلت أن لا تكون قد لاحظت شيئاً. ومع ذلك فالمنطق يقول أن هذا أمر سخيف، فلا يوجد امرأة قروية يمكن أن يفوتها

مثل هذا . وقالت مود:

لقد حضرت لغسل الأواني.

كم هذا طيب منك! لقد نسيت تماماً أنك ستفعلين هذا لى.

ونظرت إليهما مود متفرسة:

إذا أرادت تحضير شئ للعشاء.. أستطيع البقاء  
لأصيح لك. فانا أرى أن لديك ضعفاً.

كانت امرأة بارعة، واحدة من النساء اللواتي يقمن  
بعملهن جيداً، ولا تتذمر أبداً.

سأكون شاكرة جداً لك!

وكانت فيلوميل قد احمرت وكنتها فتاة صغيرة!  
وخرجت معها إلى المطبخ حيث كان كل شئ مغطى  
بالجرائد حتى لا ينتشر عليه المريى.

سيكون هذا رائع منك يا مود.

بماذا تفكرين للعشاء يا سيدتى؟

هناك نصف بجااجة وبعض لحم الغنم.. ويجب أن  
يكون العشاء واحداً منها. أو شئ من العلب.. أوه..  
ياعزيزتى.. لا شئ منها يبدو لذيذاً.. أليس كذلك؟

لا بأس بهذا.

وأشرقت ملامح مود، لقد كانت طبّاخة ممتازة قبل زواجها.. وكذلك فقد لاحظت أن هذه قد تكون مناسبة خاصة جداً.

أستطيع صنع دجاج محمر وبعض البطاطا المقلية والقنبيط.  
مود.. أنت نابغة!

اوه لا يا سيدتي.. أنا امرأة عادية.

وابتسمت، وساورتها تلك الفكرة القديمة بأن العالم كله يحب العشاق. كانت تعتقد أن السيد لويس يبعث الملل وكانت تتساءل كيف تستطيع زوجته أن تتحمّله..

وكان بالنسبة لفيلوميل، كمن يحصل على عشاء في مطعم، والخدامات تخدمه، وكأنها دخلت الجنة وليست بحاجة لأن تزج نفسها بشئ. إنها معجزة، وأحست وكأنها طفلة، وقد ابتهجت بسعادة فجائية، وأرادت أن ترقص.. وكان كلاين يتفحص الكلمات المتقاطعة في الجريدة. وقال:

والآن.. ماذا؟

مود ستبقى هنا وتحضر العشاء لنا.. تشارلز سيحضر في وقت متأخر. فلنخرج إلى الحديقة لنقطف

بعض الزهور للمائدة.

أجل.. بالطبع.

وبدا وكأن طوفاً من الأفكار قد أغرق مخيلتها، لأنها كانت سعيدة جداً. فسوف تسرق هذا اليوم من الحياة، أو بضع ساعات، وتمتع نفسها. وهذه هي السعادة الكاملة التي لم تعرفها من قبل. وربما لن تعود أبداً، ولكنها ستحتفظ بذكرها إلى الأبد.

وأخذا يتحدثان وهما يجمعان الأزهار، وأحست بانهما متزوجان على الأقل من عشر سنين. وبإمكانها تقبل الحياة كما هي. وعادا إلى الداخل، ووضعت الأزهار في أنيتها في منتصف الطاولة. ثم أخذت كلاين إلى غرفة الجلوس ليحتسب كاس شراب. وكانت مود قد حضرت المائدة على الطريقة القديمة الطراز.. لقد مضت سنوات لم تشاهد فيلوميل الطويلة مرتبة هكذا. وأشعلت المدفأة الكهربائية مع أن تشارلز كان يقول لها دوماً أنها تكلف ثروة. ولكنها أحست أن الليلة هي ليلة خاصة جداً. وقال كلاين: يقولون أن الجنة تأتي للإنسان في حياته مرة.. وربما تكون هذه جنتنا الليلة.

أجل هكذا أشعر.

وجلسنا على الصوفا وأخذ يربت عليها ويدللها، ولم تحاول أن توقفه.. فقال:

يجب أن تنهى أمرك مع تشارلز.. لا يمكنك الاستمرار في الحياة هكذا بهذه الطريقة المنافية للمنطق.. أريد الزواج منك وأخذك فوراً إلى النوع الحياة التي تستحقينها.. ولن يتألم تشارلز كثيراً، ولكنك إذا بقيت هنا فسوف تؤلين نفسك بشكل قاتل.

ولامس عنقها بشفتيه. وقال لها تفكيرها السليم.. توقفي الآن! ولكن اللحظة المناسبة أفلتت ولم توقف شيئاً. كانت وكأنها تنتزع هذه اللحظات من قلب الصيف الذي على وشك الذهاب، قبل أن تسلم نفسها للشتاء القادم، وإلى الأيام والليالي الطويلة، وهي مستلقية تصفى لشخير تشارلز.

وتناولوا العشاء بفخامة، فمود كانت قد قامت بأقصى جهدها كي تخدمهما جيداً. وقال كلاين أن عليه الذهاب باكراً، ثم وصل اتصال هاتفى من تشارلز ليبلغ فيلوميل بأنه قد يتأخر أكثر بكثير فقد تعطلت سيارته وقد لا يعود قبل الساعة الواحدة.



ولم تدري فيلوميل ما إذا كانت سعيدة أم أسفة.  
فهناك لحظات فى الحياة عندما يستولى القدر على  
شئ إلى ما بين يديه ويبدأ بترتيب الأمور حسب مزاجه..  
وبعد هذا لا مجال للتراجع.. وسألتها كلاين:  
هل سيتأخر؟  
أجل.

وأحسست بشعور أن ردها أصبح ألياً.. وحاولت سحق  
الألحاح فى داخلها، والفرح الطاغى لحصولها على هذا  
الوقت الإضافى مع كلاين، والجوع والعطش معاً فى وقت  
واحد. فهذا هو (كوكيتيل) الحياة..  
واستدارت لتضع ذراعيها حوله.

وعاد تشارلز متأخراً جداً وكان منزعجاً جداً. وكانت  
فيلوميل قد أوت إلى الفراش وتغطى فى النوم. ولكنه  
أيقظتها، بالطبع لأنه واحد من هؤلاء الرجال الذين  
يصطدمون دائماً بالأشياء ويستطيعون إصدار الأصوات  
المختلفة. وأكد لها إنه سوف ينام سريعاً، ولكن هذا ما لم  
يحدث.. فالحلم كان لا يزال معها.. كانت تركض فوق  
المرتفعات بسعادة.. واستلقت هناك وكانت صاحبة

تماماً.. وبطريقة ما لم تعد هذه الغرفة سجنًا، فقد اختفت القضبان الحديدية عن نافذتها.. أم أنها كانت دوماً تتخيل وجودها؟ أم إنها هي التي تغيرت؟ وسمعت ساعة الحائط تعلن الوقت، ومع أن الوقت لا يهم، فقد سمعته تكررًا. ولكن حياتها كانت قد انتقلت إلى وجه جديد مشرق.. وهي تشعر بالسعادة المطلقة.

وقبل بزوغ الفجر بقليل، غفت.. وصحاها تشارلز بأن صحا بنفسه وأخذ يتحرك في الغرفة، فاستفاقت مذعورة.. الفطار! يجب أن تكون سريعة في تحضيره له، وسارعت بارتداء ملابسها وأسرعت تنزل السلم حتى إنها لم تنتظف وجهها.

ليلة أمس كانت غرفة جلوسها الخاصة والمطبخ المتصل بها كالقصور. كم يمكن للحب أن يكون مخادعًا، فقد رأت إنه يمكن له أن يعيد فرش غرفة ويجعل كل شيء يبدو سرايا في لحظات! ولكن ضوء النهار الأبيض كان غريباً على ذلك السراب فصوانى الفطار بدت سخيقة لها. ووضعت البيض ليغلى وهذا أسرع شيء تستطيع تحضيره، ثم توجهت إلى محمصة الخبز، بينما كانت القهوة قد بدأت ترسل رائحتها القوية.. رائحة تحبها جداً.

ليلة أمس عندما كانت هنا.. وأحسست بالخجل من  
نفسها.. فقد بدا أن قناعاً قد حل فوق كل شيء.. كان  
تمثيلية حضرتها وأحبتها وكانت سعيدة بها. ولكن  
السعادة الآن وقعت من فوق برج مرتفع، وعادت إلى  
الأرض. وبخل تشارلز.

وأجبرت نفسها أن تتكلم عن الطقس وعن مشاغل  
النهار، ولكن تشارلز لم يكن أبداً من النوع المتحدث وهو  
ياكل. وقالت له:

كلاين ستينغز كان هنا ليلة أمس.. وكان أسفاً لأنه لم  
يرك، ولكنه سيعود قريباً.

ولكنني كنت مضطراً لأن أكون خارج المنزل. ز أليس كذلك.  
أجل.. أمر مؤسف. ولكن لا بأس.

وصبت له المزيد من القهوة، وأحسست إنها في حلم،  
وكأنها غير غير واثقة من تصرفاتها، وليست موجودة  
إطلاقاً. فنصف تفكيرها كان يرفض تصديق ما حدث ليلة  
أمس. لقد تلقت الحب لأول مرة. وهذا أمر غير منصف  
إطلاقاً لتشارلز.

وربما كانت قد تحدثت كثيراً. فقد طلب منها السكوت.

فقدية أشياء يريد التفكير بها أشياء جدية، واجباته.  
يومه.. واجباته! بينما أنا ليس لدى سوى نكرى ليلة  
أمس. شئ لن يعود أبداً.. ووقفت وتركته لوحده. وتابعت  
عملها بهدوء.. لماذا على الصباح أن يعقب الليل؟ لماذا  
على اليوم أن يمتص سعادة الأمس؟  
بعد يومين تلقت رسالة من كلاين.

وجلست فوق حجر الزاوية للأرجوحة التي ينتهنا  
بنفسها، مع وجود آدم العجوز يعطيها التعليمات. وقرأت:  
(يا حلوتى..

هذه ربما أكثر رسالة صعبة أكتبها فى حياتى، فأننا  
شديد الأحساس بها، ولدى الكثير أريد قوله لك فيها،  
نحن لبعضنا.. ولا شئ يغير هذا.. وربما نسى تشارلز  
إنك لم تكونى له أبداً. إنه واحد من رجال اللذين يبنون  
جداراً حول أنفسهم، ويبعدون كل شئ لا يريدون  
الاعتراف به.. وجداره هذا صلب.

(ولكن ليس هنا من جدار حولك، وهذا شئ يجب أن  
يفهمه ويكون متعلقاً تجاهه).

(زواجك ليس زواجاً، وما عليك سوى أن تتركه وتأتى

إلى، إلى ذراعى ليصبح زواجنا ممكناً، وهو زواج سيدوم إلى الأبد. وأنا أعرف أنك مخلصمة لتشارلز أكثر مما هو مخلص لك).

(أنت آتية إلى.. أليس كذلك؟ أريد أن تغادري ذلك المنزل، وسوف أحرك عجلة القانون لخلاصك. لقد حصلت على استشارة قانونية، وسيكون الأمر أسهل مما تظنين.. وبالنسبة لنا سيكون زواجنا إلى الأبد.

(أعلم أن هذا لا يمكن أن يتم دون جرح شعور تشارلز، ولكنك مجروحة، وبعمق يا حبيبتي المسكينة، ولذا فأتنا أظن أن عليك الآن أن تجرحيه.. والأمور لا يمكن أن تمضى على ما هي عليه بعد الآن.. متى أراك... وكيف؟ وأين؟... كلاين).

ونادها تشارلز من الردهة.

فيلوميل؟ أريدك.

سأحضر حالاً.

وسارت ببطء وتعجب عبر الحديقة إلى حيث كان يقف قرب الممر المفروش بالحصى، ووجهه متجههم، وكان واضحاً إنه كان يريد أن تصل أسرع.. وقالت:

ها أنا قد أتيت:

أعشاب السوسن التي أصبحت تملأ المكان،  
والسوسن يكون رائعاً عندما يكون مزهراً، ولكنه يترك  
وراءه أوراقاً بنية بشكل السيف تؤذي بشكل غير مرغوب.  
وقال تشارلز صائحاً:

ماذا كنت تفعلين طوال هذا الوقت؟ ماذا دهاك هذه  
الأيام؟ نصف النهار تقضينه في أحلام اليقظة.  
أنا أسفة.

هذا لن يفيد.. لقد أحضرت كل كتب التراتيل الممزقة  
من الكنيسة، ويجب أن نفعل شيئاً لنلصقها مع بعضها  
ثانية. ويجب أن تنتهي يوم الأحد...  
حسناً سأساعدك.

ولكن هناك الكثير منها.

أجل أعلم.. ولكنني سأنجزها.

ولكنها علمت أنها لن تكتب الآن لكلاين، فلن يكون  
لبيها وقت. وربما ظهر على وجهها الامتعاض إذ نظر  
إليها تشارلز وقال:

هل هناك شيء خاطئ؟

لا أظن.

ربما كان يحس بالمشاكل، فقد سارع للقول:

نحن غير متفقان.. أليس كذلك؟ أنت تلومينى على كل شئ، ولكن الذنب ليس ذنبى.. لا أستطيع فعل شئ، وأنت تعرفين، وأحاول أن أساعدك بقدر استطاعتي.

أعلم هذا يا تشارلز.. ونا ممتنة لك.

وخافت أن يقول المزيد فأشارت إليه أن آدم العجوز هو فى مدى السمع، عند الزاوية، فرد عليها بغياء:

لست أفهم ما تريد.

ليس هنا يا تشارلز.. لنتكلم فى الداخل.

هكذا أنت دائماً.. أنت لست سوى طفلة.

ويسرعة وقبل أن تستطيع منع نفسها صاحت:

الطفلة تنضج فى يوم من الأيام.. وأحذر ذلك اليوم. لم يكن يجب أن نتزوج أبداً. فهذا ليس بزواج. الله وحده يعرف ما هو.

لقد قالت الكثير.. وخجلت من نفسها وخافت.. وسارعت لتدخل المنزل..

## دائره سحريه

وسمع آدم كل كلمه...

لم يكن يقصد أن يسمع، ولكنه لم يستطع إلا أن يسمع. لقد كان يعلم أن شيئاً ما خاطى جداً، كان يكره أى انزعاج موروب. وأسوأ الأنواع عندما يكون فى منزل قسيس. طوال الوقت كان يشعر أن الجواب يكمن فى (طفل) ولكنها قالت لتوها أن زواجها ليس بزواج وهو يعرف جيداً أنها لا تقول سوى الحقيقة.

وأنهى عمله فى جب السوسن. وجمعها بعيداً عن كومة كبيرة. السيدة لويس كانت ترغب فى أن يزرع مكانها النرجس فى السنة القادمة. وليس هناك أجمل من زهرة النرجس الليكليه اللون، فهى تبدو جميلة أينما كانت. ثم



توجه الى الباب الخلفى للمنزل ليتناول فنجان الشاي..  
فهو يعلم أنها مهما كانت منزعة فلن تنسى فنجان  
الشاي له.

وتقدمت من الباب ولاحظ على الفور أنها كانت تبكى.. فقال  
متى ستحضرين النرجس يا سيدتى.  
يوم الجمعة إذا حالقنى الحظ.  
يجب أن نزرعها قبل حلول البرد.  
بالطبع..

وذهب إلى منزله باكرا، فقد وعد مود بهذا. ليديا  
ستعود من المستشفى اليوم وهناك الكثير أمام مود  
لتفعله.. هذه الأيام المستشفيات لا تبقى المريض ساعة  
زيادة عن اللزوم، وهم لا يعطون أحدا فرصة.

وكانت مود لا تزال فى الكوخ تحضر له الشاي عندما  
وصل، لقد أحضرت سيارة الأسعاف مود إلى المنزل وهى  
الآن نائمة فى الفراش. ومن رأى مود أنهم إنما طردوها  
من المستشفى، فهم بحاجة إلى السرير ولا أحد يهتم ..

وتركت آدم وحيداً ليكمل شربه شاويه براحة وعندما انتهى خرج إلى حديقته ليلتقط رزمة من زهر الأقحوان البرونزى، والتقط بعض التفاح الناضج الطرى..ليديا تحبه طريا. ووضع الجميع فى سلة وحملها إلى ليديا كي يحييها. وقالت له مود:

إصعد إلى فوق لرؤية ليديا يا جدى.

وتسلق السلم الضيق ثم إلى الغرفة التى فى الزاوية حيث ترقد ليديا. وكانت محمرة الوجه عندما استدارت إليه: قالوا أن الألم لى هو مجرد عابر..ولكنه يؤلم كثيرا. لقد كانوا يريدون الخلاص منى فأنت تعرف هذا النوع من المستشفيات.

وهز رأسه فهو يعرف.

لقد غضبت والدتى كثيرا.

ولكنهم يفعلون هذا دائما.

أظن أنها تعتقد أننى أدعى الألم، وهذا ليس صحيحاً.

فقال مواسياً.

بعد أسبوع من الآن ستصبحين فتاة جديدة يا ليديا،  
فلا تقلقى.

وكيف حال عمى جوان؟

ولماذا تسالين؟

فابتسمت بخبث:

أتعرف ماذا يقولون عنها فى المستشفى؟ كل  
المرضات تتحدث، يقولون أن الدكتور ميرديث مغرم بها..  
إنه يخرجها معه فى سيارته ليلاً.

لقد قلت لى هذا من قبل.

المرضات مجنونات بحبه، إنه شاب وسيم جميل،  
والآن يقولون إنه مغرم بعمى جوان. أتسأل ماذا تقول  
السيدة هوكنز عن هذا الأمر؟

وقال ببطء:

لست أرى سبباً لأن تمنع السيدة هوكنز، فهذا شئ  
ليس لها علاقة به.

وفهمت ليديا مغزى كلامه فغيرت الموضوع بسرعة،

وتحدثت عن جمال الأزهار، وعن التفاح، فهو من النوع  
الذى تحبه. وغادر المنزل بأسرع وقت أمكنه وقال عند الباب:  
إهتمى بشؤوك يا ليديا.. ولا تخبرى والدتك شيئا عن عمك.  
كانت جوان قد قالت له عن ذهابها مع الطبيب إلى  
مزرعة (كولد كومفورت) ولكنه اعتبر الأمر سخيًا يومها.  
ربما كان مشغول البال بالسيدة لويس ولم يلاحظ ما  
تفعله جوان. وسوف يحاول الحصول على معلومات منها  
عندما يراها.

ووصلت جوان عند أبيها متأخرة، ورمت كومة من  
المشتريات عند زاوية الطاولة.

ها قد وصلت يا أبى!

هل أحضرت كل شىء؟

كل شىء.

يعجبني معطفك الجديد.

لقد اشتريته بثمن بخس، كنت محفوظة.

أجل.. ليديا عادت إلى المنزل.

وماذا قال الطبيب؟

وهذا ما أعطاه الفرصة ليفتح لها الموضوع.

لست أدري، فأنا لم أره... هل رأيته أنت؟

سؤاله جعلها ترتاب، ولكنها تنوى أن تقول له ولهذا  
قالت بهدوء:

لقد خرجت معه منذ ليلتين. فأنا أساعده في فتح البوابات.

آه...!

ولكنه يعرف أن إدوارد ميرديث لا يسعى وراء فتح  
البوابات. وهو ليس بالعجوز الأبله كما تظن جوان..  
فتمتم قائلاً:

إنه شاب جيد.

إنه يعجبني كثيراً..

ولكن لا تقعى فى حبه جوانى فالشباب المتألقين لا  
يؤمن جانبهم أنهم مختلفون عنا.

أنا أكبر سنأ من أن أقع فى الحب.

الإنسان لا يكبر أبداً على الحب.

ولم تجب، وبدأت توضح ما اشترته في مكانه. وعندما انتهت استدارت لتذهب.

يجب أن أذهب.. ميريام بحاجة إلى.

وكيف حالها؟

إنها تتحسن.. إذا كان النزوق علامة الصحة.

ولم يدر لماذا سألها.. كل ما يعلم إنه قال:

ومتى ستعودين إلى المنزل يا جاني؟ أنتماؤك إلى هنا؟ والمنزل بحاجة لك.

وشاهدها تحمر خجلا.. اللون الأحمر جعلها تبدو جميلة وعلم إنها ستتهرب من الرد.

أنا بخير كما أنا.. أشكرك يا أبي. والآن على أن أذهب.

غدا سيحل تشرين الثاني.

أدم يكره تشرين. فالنهار يبدو أقصر، ولكنه يبدو له أطول أشهر السنة. والميلاد يصبح قريبا.. ولقد سمع أن السيد لويس سوف يحضر هذه السنة فرقة إنشاد.

وكان يقطع الخشب عندهم عندما خرجت فيلوميل تحمل له الشاي. وبدت له نحيلة، وكأنها مريضة. وعيناها

تبدوان غريبتان. وهذه النظرة أخبرته بكل شيء، حتى ولو كان يشك من قبل.

كيف ستشعرين لو عرفت أنك حامل يا سيدتى؟  
ورأى الرعب فى وجهها، وهذا آخر ما قد يتوقعه. فهو لا يعرف أنها ستخاف من الألم. والنساء فى هذه المرحلة المبكرة يشعرون بالسعادة لحملهن وقالت:

حامل؟

وستكون القرية سعيدة يا سيدتى. الأطفال يأتون، ويأتون بالترحيب بهم معهم.

كان سعيداً جداً عندما ولدت له أديث بنتاً ثم صبيها، وكان يريد المزيد ولكن أديث قالت أن واحداً من كل نوع يكفى. وإذا أراد المزيد فعليه أن يحصل عليهم من امرأة أخرى! ووضعت فليوميل يدها فوق قممها، وبدت عيناها الخائفتين من فوق يدها ثم استدارت دون كلمة وركضت إلى المنزل وأنهى شرب الشاي وتقدم بهدوء وفتح باب المطبخ ووضع الفئجان فى الداخل.  
وسمع صوت امرأة تبكى.

وببطء سار إلى منزله، وأحس بالأسى العميق تجاه  
فيلوميل...

إنه يحب أن يساعدها كما لم يساعد أحداً من قبل،  
ولكن ليس هناك ما يستطيع أن يفعله. لا يمكن أن يكون  
الطفل من زوجها. لفتاة من طرازها ستكون هذه آخر  
قشة في حياتها. وستكره مجرد التفكير بالأمر، فهي  
ليست فتاة رديئة.

الرداءة في نظرة لها مراتب.. والخطيئة لا يجب في  
الواقع أن تكون خطيئة، ولكن حالة قد انجرف المرء إليها.  
غلطة كبيرة أذنته كثيرا.

والخطيئة هي تشارلز لويس.. وبدا من السؤ أن  
يستطيع قسيس أن يرتكب الخطيئة. ولكن بالتأكيد أساء  
لهذه الفتاة، حتى ولو آله هذا. ولكن كُنْ عليه أن يضع  
نفسه في الدرجة الثانية بعدها ولا يترك هذا يحدث.

ولكن من هو حتى يحكم؟ وخجل من نفسه لأنه مزعج.  
وشاهد السيدة هارت تقف عند باب مكتب البريد، وهو  
يعلم إنها تقف هكذا لتصطاد الأخبار.

مساء الخير جايمس.. أليست السيدة لويس بخير؟



لقد تكلمت معها لتوى وبيت لى على ما يرام.  
آه لك أنت...! أنت رجل.. وليس هناك شئ حول النساء  
تفهمونه أنتم الرجال...  
أوافقك معك على هذا.  
لن أندهش بعد كل هذا الزمن أن يصبح فى بيت  
القسيس قسيس صغير. وسنعمل كلنا على شراء مهد  
له.. إنها تبدو لى هكذا، شاحبة مصدومة وما شابه.  
آه.. ولكننى لا أعرف. تبدو على ما يرام لى.  
ولم تكن السيدة هارت قد وصلت إلى مبتغاها بعد.  
لقد قيل لى أن القسيس ليس من ذلك النوع... أنت  
تعرف ما أعنى.. اوه.. اعترف أن هذا أدهشنى.. ولكن  
هكذا قيل لى.  
أنا لا أستمع أبدا لما يقوله الناس. فمن غير المجدى  
التحدث مع أناس شغلهم الشاغل الثروة فقط.. فهذا لا ينفع.  
وتركها وأكمل سيره متعمداً. ففي مطلق الأحوال يجب  
أن لا تجره لى حديث كهذا.. وتابع سيره إلى كوخه  
ليجد الشاى جاهزا...

فى إحدى الأمسيات، رغب الدكتور ادوارد ميرديث فى  
من يفتح البوابات فقد عادت المرأة من المستشفى، ولم  
يعرف ماذا حصل لها. ثم وصلته فجأة رسالة بأن حالتها  
قد ساءت مجدداً - وهذا يجب أن يحدث ليلاً - وأرسل  
رسالة لجوان.. هل بإمكانك مرافقتى؟ وأرسل الرسالة مع  
صبرى.. وكلما قرأتها رأيت عينا ميريام الحادة تراقبنا. وقالت:

أراهن أنه ذلك الرجل ثانية؟

المرأة فى مزرعة (كولد كومفورت) سيئة الحال.

ولم تقل لها جوان المزيد.. لماذا يجب أن تقول لها؟  
إنه يستغلك.. إنه يعرف أن كل ما عليه أن يرفع يده  
لتأتى إليه!

إنه يعجبني وسأذهب معه.

ربما يعجبني وسأذهب معه.

ربما قد بدأت تضجر من صداقة هذه المرأة المتشددة  
التي تريد لكل شئ أن يكون على طريقتهما.. وإذا كان  
عليها أن تعترف بالحقيقة فستقول بأنها بدأت تفضل  
الحب على الصداقة..

وكانت تنتظر عند بوابة المزرعة عندما وصلت سيارة  
ادوار وكانت ياقة معطفه تغطي رقبته. فمع أن الطقس  
ليس بارداً جداً، ولكن برودة شهر تشرين الثاني تقطع  
فى العمق. وتحركت بهما السيارة:

كيف حال المريضة؟

سيئة جداً. كنت أؤمن بأن هذا سيحدث.. ولكن يجب  
أن يحدث هذا بعد يوم متعب. والرشح فى طريقه إلى.  
بإمكانك فعل شئ حول هذا.

ماذا؟ أريد أن أعرف؟ فنحن الأطباء لسنا بارعين فى  
معالجة الرشح.

وهل تحص بالتعب؟

بشكل فظيع.

وفتحت حقيبتها وأخرجت زجاجة صغيرة:  
أنا مترددة باقتراح هذه. ولكنها أبعدت عنى الرشح  
فى الأسبوع الماضى..

ما هى؟

لم أسأل.. لقد تناولتها هكذا. لماذا لا تفعل مثلى؟

فضحك للطريقة التي قالت هذا بها وتناول الزجاجاة  
وأخذ منها جرعة وقال:

أنت فتاة رائعة يا جوان، لقد وضعتني عند حدى..  
لا يمكن للمرء أن يموت سوى مرة واحدة.

مرة أخرى دعاها بالفتاة!

شكرا لك.

وتابعا سيرهما، ورائحة الوجل تفوح من النهر.  
ووصلا إلى البوابات، وخرجت لتفتحها واحدة بعد أخرى  
وتغلقها بعد أن تمر السيارة فيها. ثم عادت للانضمام  
إليه. وكلما نفخ الهواء فيه جعله يرتجف.. فقالت:

مسكين يا ادوارد!

وأحست بالخجل لخروج اسمه الأول دون القاب منها.  
ولكنها شعرت بالسرور لأنها فعلت.

ودخل المنزل وبقيت في السيارة لتغفوا قليلا. وعندما  
سأله عن حاله فأجاب:

أنا بخير.. شكرا لك.

والمرأة؟

سيئة الحال. وأعتقد أن تعود إلى المستشفى، ولكن زوجها يضيع من دونها.. فماذا نستطيع أن نفعل؟  
إذا سألتني سأقول لك أن السبب هو البقاء في هذه المزرعة، معه، مسكينة.

أتعنى إنها تتخيل المرض؟

لا.. إطلاقاً. ولكن الظروف التي يعيش فيها المريض قد تؤثر على مرضه. ووصلاً إلى أول بوابة. فأوقف السيارة وخرجت جوان لتفتحها.

وعادت إليه فقال لها: باركك الله أنت عزيزة.

لست معتادة أن يقول لي الناس هذا.

حسناً.. أنا أقولها لك الآن. أخبريني، لماذا تعيشين مع ميريام هوكنز؟

لأنها بحاجة لي وهي لطيفة معي.

الأفضل أن تكوني في منزل والدك.

وكادت أن تصده، ولكنها علمت أنه يقول الحقيقة.

أجل.. ربما أنت على حق! لقد تغيرت ميريام مؤخراً.. بعض الأحيان تتوقع الكثير مني. أعلم هذا.

الذين من نوعها دائماً هكذا. عودى إلى منزل والدك  
يا جوانى إنه عجز رائع لطيف وواقعى كالفولاذ.  
ولكنه يكون خشناً فى بعض الأحيان.  
الجميع هكذا، ولكنه لا يدوم.. وانت ستتركى البيت  
للتزوى. لن أتزوج.. وأنت تعلم.  
بل ستتزوجى .. لأنك ستتزوجينى.  
وتغيرت ملامح الليلة كلها فى الحال، واختفى الضباب.  
وشاهدت النجوم تلتف فى حلقات فوق رأسها، والقمر  
يتحول إلى دائرة سحرية.. وقالت بصوت يرتجف:  
أنت لا تعنى ما تقول؟  
ولكننى أعنيه، وأنت تعرفى هذا. فأنا أريدك. وأعتقد  
أنك لم تدركى هذا. ولكن حياتى مستوحشة وحيدة.  
وحياة حزينة أيضاً. وأنا أرى الكثير من المرض والعذاب.  
وهناك أوقات يكدرنى هذا الأمر.. أريدك.  
وأمسكت يده بيدها، وكانت بشرته حارة، وعلمت إنه  
قادر على أن يغير مجرى حياتها. وتابع السير دون أن  
يقول كلمة. إذ لم يبدو أن هناك كلمة يمكن أن تصف

هذه اللحظات من حياتهما.  
وأخيراً وصلا القرية منه أن يتمهل فهي تريد أن  
تعرف... ماذا ستفعل؟. وقال لها:  
لا تخبرى أحداً الليلة. ولكن قولى لوالدك فى الصباح..  
إذا يجب أن يعرف. واذهبى إلى منزلك غداً.. ابتعدى عن ميريام.  
ساقعل. وأوقف السيارة خارج بوابة المزرعة، ووضع  
ذراعه حولها وجذبها إليه:  
أعلم أنك ستلتقطين رشحى، ولكننى لا أستطيع منع  
نفسى! فأتنا أحبك كثيراً.  
أنا لا أهتم بأن التقط عشرة زكامات منك.  
وبعد عشر دقائق. دخلت المزرعة وعيناها ترقصان.  
عالمها كان كله موسيقى، لم تكن لتظن أنه قد يتغير هكذا.  
وبادرتها ميريام بجفاء: ماذا حدث لك؟  
لاشى.. لاشى! إطلاقاً.  
هل قبلك؟ لابد أن احمر شفاهك قد لصق على فمه..  
لاشى..

أنت تجعلين من نفسك مغلفة.. إذا سألتني رأيي.  
لن أرد عليك الليلة! لن أستطيع تحملك هذه الليلة..  
وقالت لها:

لن استمر في العيش هنا، لن اتحمل. لم أعد طفلة ولن  
يأمرني أحد. سأذهب إلى منزل والدي غدا.  
حسنًا، إذهبي!

واستدارت ميريام غاضبة إنها دائما تتسرع في  
اتخاذ القرار، وبعد ساعة ستبكي ندما.. ولكنها لن تنبه  
لها. وقالت جوان:

أنت قلتها بنفسك، وهذه هي النهاية.  
وصعدت إلى غرفتها لتنام، ولكنها كانت تعرف أنها لن  
تغفوا فالسحر الجديد قد صعد معها إلى فراشها، وكل  
شيء من حولها بدا مختلفًا.

وغفت قليلاً ثم استيقظت. الساعة الآن الخامسة  
والنصف، ولقد حل الصباح. ونهضت من السرير بهدوء  
ووضبت أغراضها، لابد أن ميريام تعتقد أنها لم تعني ما تقول.  
ونزلت السلم وحقيبتها في يدها، وفتحت الباب الخلفي..



وخطت إلى الخارج.. وغادرت المزرعة إلى الشارع،  
الذي كان ساكنا خاويا.. وشاهدت نورا في نافذة غرفة  
والدها. وهذا يعني إنه استيقظ، واستدارت إلى الباب  
الخلفي المقلل ونادت..

أبي؟.. أبي؟ هذا أنا.. جوان.

هل هناك من خطب؟ لا.. ولكنني عدت إلى البيت.

سأنزل حالا. وفتح لها الباب

ما الأمر؟ لقد تركت ميريام.

هذا أمر جيد.

وسأزوج من الدكتور. حسنا.. لقد صدمتيني!

وكان نور المطبخ مضاء، والنار قد خبت في الموقد.

إذهب واستعد يا أبي.. سأحضر كل شيء لك.

وسأكون جاهزة عندما تعود. وعندما نزل من غرفته، ولم

يطلق نطقه بعد، كان لديه الوقت الكافي ليهضم الخبر،

فجلس ليأكل:

هل أنت سعيدة حول الدكتور يا جواني؟

سعيدة جداً يا أبي.

ربما لم تكن تعرف أن آدم يؤمن بالحب. إنه يعترف به كأحد الأولويات فى الحياة، فهو يعطى الكثير من السعادة، ويغير حياة الناس. وعرف من النظرة فى عينيها أن هذا ما تشعر به.

فقال: إذا أنا سعيد أيضا.

لابد أن هذا سيكون موضوعاً تتحدث عنه القرية.. يستطيع تصور ما ستقوله السيدة هارت، وميريام هوكنز أيضا! فالقرية تعيش على الشائعات. وتمتم:

أراهن أن السيدة هوكنز تتشاجر مع زوجها الآن.

هذا لن يجديها نفعا.

إنها ليست بامرأة لطيفة.

ودقت الساعة، وأدرك أن الوقت تأخر أكثر مما أعتقد.

فنهض وذهب إلى الباب، فنادته جوان.

أنا لن أعود إلى مزرعة هوكنز يا والدى فلا تفكر بهذا الأمر.

وخرج إلى عمله، وشعر بالفخر بها، كما كان فخوراً يوم مولدها. وشاهدها مستلقية إلى جانب أديث فى الفراش المزدوج.. لقد أحبها.. وكانت كل شئ له.

## حصاد الخطيئه

عندما استيقظت فيلوميل فى الصباح التالى أحست  
بالغثيان ثانية. وعندما عادت من الحمام وجدت تشارلز  
يرتدى ثيابه.. وتوسلت إليه أن يعتنى بنفسه بعد زكام  
كان يعتريه.. ثم قالت له إنها لا تشعر بارتياح. فقال:

لا بد أن السبب هو شئ أكلته ليلة أمس. ماذا أكلت؟  
لحم أرانب؟ أم حساء معلب؟ أنا أشك دائما بالحساء المقلب.

وكانت تعلم أن السبب ليس لحم الأرانب ولا الحساء  
المقلب. وزال عنها الغثيان ما أن بلغت الساعة الحادية  
عشرة، وكأنها لم تكن تحس به. ولكنها فى الصباح  
التالى أحست ثانية بالكرب. وقال زوجها:

إذا استمر الأمر هكذا، فيجب أن يحضر ميرديث ليراك.

وهذا آخر شيء قد ترغب به. ولم تدر ما تفعل، فالعالم  
أخذ يدور من حولها، وأدركت أن الزمن سيحارب لأجل  
الحقيقة. ذلك الصباح، وبعد أن خرج تشارلز، اتصل بها  
كلاين هاتفياً. قال أن لديه شعوراً بأن شيئاً ما خاطئ.  
ولم تستطع الاستمرار في إخفاء سرها.. فصرحت له به:  
هذا أمر مريع، ولكنني أظن.. لا أظن بل أنا واثقة..  
أنتي حامل..

حبيبتي.. يا حلوتي.. يجب أن نتزوج.. يجب أن نقول  
لتشارلز، فهذا الأمر يجبرنا. سنأتي في الحال لأراك.  
لا يا كلاين.. لا!

ولكن يجب أن أتى.. يجب أن نكون معا في هذا، فلي  
نصيب فيه. وهذه مسؤوليتي!

نصفها يريد أن يجرى، والنصف الآخر يرفض، ولكنها  
أصرت على أن تواجه هذا لوحدها. ثم انقطع الخط.

أمامها الآن ثمانية أشهر، وربما أقل. وخلال هذه المدة  
هناك جسور يجب أن تقطعها، والكثير من التلال  
لتسلكها. ثم عادت إلى اعتدالها عندما تذكرت أن تشارلز

قال لها إنه يريد الغداء باكراً، وهي لم تحضر شيئاً بعد..  
منذ أن شفى من زكامه أخذ يأكل كالحصان. وعاد إلى  
المنزل ثم غادر فوراً بعد الغداء، فهناك مشاكل فى مزرعة  
ناثية، حيث حاول صاحبها مرتين الانتحار. وقال لها:  
سوف أتأخر كثيراً..

عندما وصل كلاين، لم يدق الجرس، بل دخل رأساً  
إلى غرفة جلوسها الخاصة. وأخذها بين ذراعيه..  
تلامسها معه غير كل عواطفها.. ثم قال:  
هل تعلم تشارلز؟

ليس بعد... لا أستطيع إخفاء الأمر عنه طويلاً. وله  
الحق أن يعرف.. والطبيب شك فى الأمر.

قد نحتاج إلى رجل طيب مثله. سوف تتبين معى بالطبع؟  
ووقفت تحديق به:

أتى معك؟ ولكن كيف أستطيع؟

لأننى أحبك، لأننا لبعضنا، لأنه ليس من سبب ينفكك  
لأن تبقى مع تشارلز.

ولكنه زوجي.

انه ليس زوجك... وهنا المشكلة. لقد كنت تعيسة بائسة  
وعليه أن يطلق سراحك.

ولكنني لا أستطيع الهرب منه.

أنت مضطرة.. فهذا يعني كل شيء لنا.

ووضع خده على خدها، وأحسست بحرارته تدخل إلى  
جسدها. وحاولت أن تشرح له أن هذا ليس ذنب تشارلز،  
ولا يمكن لومه، والملامة تقع عليها لوحدها... وقال لها:

كل هذا لا يجدي، فأنا من سأهتّم بكل شيء يا  
عزيزتي.. أريد أن أخذك معي الآن، هذه الليلة، وإلى الأبد.

لم تكن تفكر أبداً بالهروب، فهذا يعني الفراق النهائي  
مع رجل كان طيباً معها. ليس لأنها تحبه، فقد مات هذا  
الشعور له خلال شهر عسلهما. ولقد وجدت السعادة مع  
شخص آخر.. ولكن يجب أن لاتفعل ما هو خاطئ.. وتابع قوله:

هذه مهمة رجل، مهمتي. وإن أتخلى عنها.

وسمعا صوت سيارة تشارلز قادمة، ثم توقفت، تبعها  
صوت أقدامه على حصي الباحة فقال كلاين.

يجب أن تذهبي من هنا .

وذهبت، وأحست فجأة أن ليس لها مكان تذهب إليه،  
لا مكان تبكي فيه، أو أن تبقى لوحدها، فخرجت إلى  
المرجة التي أمام المنزل. ولكن العشب كان مبللا، وحذاها رقيق..  
وسارت حول المنزل إلى السقيفة حيث استطاعت  
سماع آدم وهو يعمل. وأحست أنها إذا لم تتكلم مع  
شخص ما الآن، فسوف تجن. ورفق رأسه إليها، إنه رجل  
ضخم البنية، وشعره الرمادي يتهاوى مع حركة جسده،  
سترته الصوفية مليئة بالثقوب، ولكنه مشغول، وسيبقى  
هكذا إلى أن يموت. وتملكها شعور أن هاتين العينين  
اللتين عادتتا إلى زرقه لون عيني طفل، بإمكانها أن تقرأ  
أفكارها، وأنه يعرف كل ما يحدث. وقالت له:

أشعر بالرهبة.

وجلس على جذع الشجرة التي يقطع الحطب عليها،  
فهى المكان الوحيد لتجلس عليه.

ولم يحاول أن يواسيها، ربما لأنه يعرف أن الرجل لا  
يستطيع أن يقدم لها المواساة لما تحس به. ثم قال بعد دقائق.

بعد أسبوع أو أكثر قليلاً ستكونين أفضل حالا. فالأمر  
سئ عند بدايته وستتحسنين قريباً.

يقولون هذا للأشخاص الذين يموتون.

وهم يتحسنون... يتحسنون كما لم يكونوا لستين  
طويلة.. لأن النداء وصل.

النداء؟

كلنا ننتظر النداء، حتى منذ لحظة ولادتنا.. إنه نداء  
لطيف. سوف تمرين بالحنة. وفي النهاية سوف تسعدى.

وتمنت أن يستمر هذا إلى الأبد، وأن تحصل على  
المواساة من رجل طيب له صوت لطيف ويدان خشتان..  
وتابع قوله:

نحن جميعاً نأتى إلى هذه الدنيا، وتستقبلنا.. وهذا  
مفيد، فليس هناك ما هو أجمل من الحصول على مخلوق  
صغير يكون لك يا سيدتى.

إذا فهو يعلم كل شئ..

ووقفت لتخرج من السقيفة وتسير فوق حجارة الفناء.



وتمنت لو أنها لم تترك الأمر لكلاين، فهو لا يعرف تشارلز  
كما تعرفه هي... فهو قد يفضب كثيراً، ولكنه لا يتحول  
إلى العنف أبداً.. فصمته البارد هو أقسى سلاح عنده..  
ويصبح كالصخر الذي لا ينكسر.

ودخلت إلى غرفتها.. المنزل كان صامتا، ثم وجدت  
أنها لن تتحمل كل هذا الصمت، فقد أصبح كالشبح  
المرافق لها. وخرجت إلى الردهة، حيث سمعت كلاين  
يتكلم.. وانتظرت ثم تابعت طريقها، والساعة تعلن الوقت  
بديقاتها، وأحست أن هذه الساعة هي بكل حياتها..  
وفتحت الباب.

كان الرجلان يجلسان على طرفي المدفأة. وما أن  
دخلت حتى سمعت تشارلز يقول:

أجل.. ولكن صيد السمك هكذا أمر سهل، كنت دائما  
أظن هذا، ومع ذلك فأنا أصطاد بتلك الطريقة.

صيد السمك! إنهما يتحدثان عن صيد السمك؟  
وأحست أن عالمها كله قد انهار.. وتصاعد الدم إلى  
وجهها. وسمعت نفسها تقول:

صيد السمك! بينما كل شيء عند مفترق الطرق! صيد السمك!  
وسقطت على الأرض مغشياً عليها.

واتصل كلاين بادوارد ميرديث الذي كان يزور معلم  
المدرسة، في القرية المقابلة من الجهة الأخرى للوادي.  
وطلب منه المجئ بسرعة. وحملها كلاين إلى سريرها،  
ومددها هناك وسكب في فمها بعض الشراب. ووقف  
تشارلز يراقبه طوال الوقت، دون أن يقول شيئاً.. كان  
المشهد وكأني من مسرحية حيث يقوم العشيق بكل شيء  
بينما الزوج لا يتحرك. حتى أن كلاين لم يكن ليدرك أن  
تشارلز موجود.. ووضع رأسه على رأسها:

أنا هنا يا فيلوميل.. أنا هنا أساعدك، حاولي أن  
تبتلي هذا، يجب أن تشربي.

وابتلعت من الشراب قليلاً، ثم بقت، وتمتم تشارلز:  
إنها تفعل هذا دائماً.

وفتحت عيناها:

كلاين؟

نعم.. أنا هنا. سوف تتحسنين، فلا تقلقي.

والتفتت إلى تشارلز.. أسفة جدا.

لا بأس.

ووصل إدوارد ميرديث بسرعة، وأوقف سيارته أمام المنزل. ولوح لآدم العجوز الذى يعمل فى السقيفة، ويذا له من غير المناسب أن يكون هذا الرجل (حماه).. وصعد إدوارد إلى غرفة فيلوميل فى الحال.. وشاهدها مستلقية فى الفارش وكلاين يركع أمامها يلاطفها، وتشارلز يقف مراقبا. الأمر الغريب أن الطبيب لم يدهش لهذا، وكأنه يعرف كل شئ. وتخلص من الرجلين وأقفل الباب، وعاد إليها.. فقالت:

أنا حامل..

والطفل ليس لتشارلز.. لانتلقى فهذا ليس من شأنى.

وحدثه عن سنين الأحباط، والعذاب والشك، وعن حياتها التى تبعد ببطء ودون تراجع، وزوجها الحارس على أبواب مقفلة ليمنع عنها السعادة الدنيوية، ولا يزال متعلقا بهذا الوضع لأنه يؤمن إنه حق.. وقالت متساعة وهى تشرق بالبكاء:

ماذا سافعل؟

أنا لست من المؤمنين، وربما تعرفين هذا. ولكن شئ ما مؤكد. ما فعله زوجك بك حطم حياتك، والأسوأ إنه يرفض الحديث عن هذا الواقع، فهو من وجهة نظره لا يهتم، ولكنك أنت تهتمين.

أنا أسفة جدا عليه.

لا يجب أن تكونى حمقاء.. أعتقد أن الطفل لكلاين ستينفز؟ أجل.

ما ستفعلينه يجب أن تقرريه بنفسك، ولكن من وجهة نظري هناك طريقة واحدة. ويجب أن لا تهتمى بكلام الناس. فلا يمكنك الاستمرار فى مثل هذه الحياة.. تذكرى هذا. أعلم.

وعندما أحس بها وقد بدأت تغفوا رفع الغطاء فوقها، وتسلسل خارجا.. ليجد الرجلين جالسين فى غرفة الجلوس يشربان الشاى بطريقة عادية، وكان شيئا لم يحصل. ولم يكن هناك بالطبع، ما يستطيع أن يفعله..

فى الفناء الخارجى، توقف ليتحدث إلى آدم.. وقال آدم: الطقس سيكون جميلا غداً يا سيدى.

لا تتأدينى بسيدى.. فساكون صهرك عما قريب.

سأشتاق لجوانى.  
لجوانى الحق بحياة خاصة.  
وأطرق العجوز:

أعلم .. عندما يكبر المرء، وينظر إلى الحياه خلفه،  
يتساءل لماذا يعاني الشبان كل هذا.. أنا أعنى السيد  
والسيدة لويس. لم يكن عليها تحمل كل هذه المشاق..  
معك حق فى هذا.

واستفاقت فيلوميل فيما بعد والغرفة قد أظلمت.. وكان  
تشارلز معها . فقد أشعل شمعة ووضعها فى صحن..  
كان دوما يدرك خوفها من الظلمة.. وكانت تحترمه للطفه  
هذا معها . وراقبت النور الأصفر للشمعة لبعض الوقت،  
وكانه يثير ذكرى خاصة فى نفسها.. ثم استدارت لترى  
تشارلز يجلس على كرسى قرب النار. الرجل المسكين! كم  
كنت قاسية عليه! إنه يجلس هنا ليعرف ما هو المستقبل  
له. وقالت له:

أنا بخير يا تشارلز.  
وفى الحال كان بقربها.

هذا أفضل! كنت أخشى أن يكون هذا اليوم صدمة عليك.

ولك أنت أيضا.

وسألتها إذا كانت تريد الشاي.. وقالت أن من الأفضل أن تعود للنوم.

إذا من الأفضل أن أتركك لترتاحي.

وفى بعد ظهر اليوم التالى جاء إدوارد ميرديث، وكانت فيلوميل قد صحت وهى تحس وكأنها مصابة بضربة على رأسها. وكانت قد خرجت إلى غرفة الجلوس.. فاستدارت إليه:

كم جميل أن أراك.. أنا بخير اليوم.. ولقد سمعت لتوى من تشارلز إنك ستتزوج من جوان.

أنا سعيد لأبتهاجك.

إنها من النوع الذى يوثق به.. وستكون زوجة طبيب مثالية.

ولاحظت من تعابير وجهه إنه يريد الحديث فى شىء آخر:

أتريد التحدث عني؟ لدى إبريق شاي يغلى. اجلس وسأحضر صينية الشاي. لقد ذهب تشارلز إلى بلدة (مارشهام) لقد ألقى القبض على أحد صبيه الكورس فى الكنيسة بتهمة السرقة. وسوف يدافع عنه.. إنه بارع فى هذا.

واختفت في المطبخ ثم عادت تحمل صينية الشاي  
وعليها طبق من البسكويت. وجلسا في الصوفا جنباً إلى  
جنب. وقال:

والآن.. ماذا سنفعل لأجلك؟ ساكون بخير.

ليس تماماً. يجب أن تدركي أن هذا الطفل سيأتي،  
وتشارلز سيقبل به. أعلم هذا. ولكن هذا ليس كل شيء.  
فالنقطة الأساسية أنك تحبين كلاين سيتغزز.

ولم تتكر فيلهميل هذا.. فليديها إحساس أن أمواله له  
من بعد النظر أكثر مما تظن. وهو يعرف أكثر مما تتوقع  
منه. وتابع:

لن يكون هناك من مشكلة لو أن زواجك كان طبيعياً،  
ولكنه ليس كذلك. قد تظنان أن بإمكانكما العيش معا  
كرفاق ولن يكون هذا زواج حقيقي.. ولكنكما مخطئان.  
فلا أحد يمكنه محاربة الطبيعة. فهي دائماً تأخذ حقها  
ولو بطريقة قاسية وأنا أريدك أن تفهمي هذا.

لقد دبرنا أمرنا حتى الآن.

أظن أنك مخطئة بهذا.. فصمتك ليس على ما يرام.  
وهذا أمر يلاحظه الطبيب.. أنت غير سعيدة. قد لا ترغبين

فى قول هذا، ولكن هذا هو الواقع وسيكون الأمر أسوأ.  
سأخاطر. ما حصل ليس غلطة أحد. وفى نفس الوقت  
فهذا يمثل وضعاً يجب أن لا تصل إليه الأمور ثانية.  
وزوجك يجب أن يبتعد عنك.  
لن يفعل أبداً. ولا أستطيع أن أطلب منه.  
لا فرق.. سوف أتحدث أنا إليه.

لا أريدك أن تجرحه..ألا ترى إنك لن تستطيع فعل  
شئ يعوض عن الأمر أنا.. لا أريد التحدث بالموضوع.  
وسمعت صوت سيارة تشارلز، وأربعها واقع إنه عاد.  
فخرجت من المنزل. ولم تدرك أنها بهذا قد تركت الجو  
يخلو أمام إدوارد ليحدثه.

وخرجت لتسير على الطريق، وشاهدت الرجال يعملون  
فى الحقول يتسابقون مع النهار. ومرت أمام مخزن العلف  
الصغير عند الزاوية، فسمعت صوت نحيب. فتوقفت.  
أبواب المخزن الكبيرة كانت مفتوحة فدخلت منها لتشاهد  
بابين متشابهين فى الجهة الأخرى من المخزن ومفتوحان  
أيضاً، ومن خلالهما برز منظر الوادى الذى يستحم فى  
نور الشمس. وكان فى المخزن آلة قديمة لدرس الحبوب



تقف في الزاوية.. واستدارت نحوها حيث سمعت النحيب  
ثانية.. هناك فتاة تجلس داخل الآلة تبكي وتلك الطريقة  
التي يظن الرجال أن النساء يتمتعن بها. وعرفت فيلوميل  
من هي: ليديا؟

وتقدمت نحوها. فهي تحب ليديا، ولو مجرد أن فجها  
شيء من آدم.. كانت ترتدي ثياباً رخيصة من التي تعجب  
فتيات الريف.. فجلست بقربها على التبن.

ما الأمر يا ليديا؟ ماذا حدث لجعلك تبكين هكذا؟

وكانت ليديا في مزاج قابل للحديث. لم تستطع قول  
كيف حدث لها هذا، كل ما تعرفه أنها لا زالت تحب هيوغ  
بارتون حتى وهي تعلم إنه غير جدير بالثقة. ليلة أمس بدا  
لها أن تمزح معه... شيء ما حدث في جزء من الثانية،  
فأخرجت هيلدا، ترتدي أجمل ثيابها، إلى الحديقة. وفي  
العتمة خدعت هيوغ. ربما في مؤخرة عقلها كانت ليديا  
تفكر بأن تعود لتخرج معه. وفجأة خرجت المزحة من  
يدها، فقد غضب هيوغ وخرج مع بيغي هينسون بدلا  
منها. وعلمت أنها خسرت إلى الأبد.. وقالت فيلوميل:

أليس من الأفضل أن تخسريه الآن بدل أن تخسريه

هذا لا يهمنى... لا يهمنى.  
أليس هناك شبان غيره؟ أنت فتاة جميلة ولابد أن  
هناك الكثير من الشبان يرغبون بك إذا شجعهم قليلا.  
لا أريد سوى هيوغ. وعادت للنحيب ثانية:  
ماذا تقول والدتك؟  
إنها لا تعرف شيئا.. هى وأبى لا يعلمان. ولكننى  
أخبرت جدى ولقد ساعدنى، وقال ما تقولينه أنت.. ولكنه  
لم يفعل شيئا.  
ربما أنا وهو على حق. وربما ليس هناك ما يستطيع  
أحد فعله.  
ولكننى أريد هيوغ. أعتقد أن بإمكانه أن يؤلك كثيرا.  
أنا متائلة جداً الآن.  
لا تكونى سخيقة يا ليديا.. فكلنا مررنا بعلاقات قبل  
أن يأتينا الرجل المناسب.  
فوقفت ليديا متحدية وقالت:  
لقد أتى الرجل المناسب لى، وأعدك أن يبغى هينسون  
لن تحصل عليه!

حظا سعيدا! وتركتها لتخرج من الباب حيث كانت  
الأبقار عائدة إلى الحظيرة. وما أن وصلت إلى الشارع  
حتى التقت بهيوغ بارتون. فقالت له:  
مساء الخير.

أعتقد أنك لم تشاهدى ليديا جايميس هنا؟  
لا.. لم أشاهدها.

لقد تشاجرنا ليلة أمس.. أعتقد أن فتيات القرية كلهن  
سوءا. يظنن إنهن جميلات ويحاولن التلاعب بالشاب.  
إنه شاب فاسد.. ولكنها قالت له:

إترك ليديا وشأنها يا هيوغ. فهذا يفيدك أو يفيدها.  
على كل الأحوال لماذا عدت إلى القرية؟ لا أعتقد أن المكان  
هنا يناسبك.

وتكلف ابتسامة مزيفة وهو يتعدها ويكمل سيره قائلا  
بصفاقة: أنا أمتع هذه الفتاة.

وأكمل طريقه إلى المزرعة الحمراء حيث شاهد رجلا  
غريبا يقف هناك.

هل تنتظر مقابلة السيد جونسون؟ ولكن ألم أرك في  
مكان ما من قبل.

وأدرك لتوه إنهما التقيا من قبل فوالد هيوغ قاض فى المقاطعة المجاورة، ولقد شاهد هذا الرجل ووالده يرسله إلى السجن بتهمة الاحتيال. وبهذه المعرفة كان يجب عليه أن يحذر السيد جونسون. وقال الرجل:

أجل لقد تقابلنا من قبل.. لقد أرسلنى أبوك إلى السجن لثلاث سنوات لجرم لم ارتكبه أبداً. ولكننى أريد العمل هنا. فقد تلقيت عرضاً للعمل من صاحب المزرعة.

انتظر فى المخزن وساكم صديقى صاحب المزرعة:

ودخل الرجل المخزن، وعاد هيوغ بعد قليل ليقول له:

صديقى يظن بقتك غير ملائم للعمل هنا، ويريدك أن تذهب.

أوه.. هكذا إذا؟ ولكنه أرسل بطلى عليه أن يقابلنى لأنه مدين لى بأجرة السفر..

وكم تريد.

وسمى الرجل مبلغاً ضخماً.. وشعر هيوغ أن هذا ليس وقت جدال فدفع له، وقال:

والآن اذهب من هنا! ووضع الرجل المال فى جيبه.

إن أذهب.. يجب أن أحصل على طعام.

وبدا هيوغ يفضب.. ولكنه دخل المنزل، وبدون أن  
يستشير أحداً وضع الطعام والخبز فى طبق واحد  
وأحضره إليه: هاك بعض الطعام.  
وجلس الرجل ليأكل.. وقال وهو يتشمم ابتسامة بشعة:  
سأقضى الليلة فى هذا المخزن.

قد يرسل صديقى فى طلب البوليس.. فأنت مقترح  
للمنزل غير مرغوب فيه.. وأنت لا تريدنى أن أخبره..  
وغضب الرجل، وكما قال لهيوغ كان اسمه (البرت  
إيرث)، وصاح بهيوغ:  
إذهب أنت وهو إلى الجحيم!

ولكمه وأصابته قشعريرة، وهذا ما يكفى لأن  
يفقده سيطرته على أعصابه، وهكذا رد له الضربة،  
وبقسوة. وفاجئت اللكمة إيرث، فوقع قوفاً إلى الأرض  
ليضطدم بالزاوية ويضرب رأسه عتق خافة دراسة الحبوب  
الحديدية. الصوت الذى صدر عن اصطدامه كلن مريعاً.  
وعندما تقدم منه هيوغ وجد أن رأسه قد انشقق وأخذ  
الدم يخرج منه بفزارة.. وأسرع هيوغ وقد أنهله الفزع  
ليطلب النجدة. فى وقت كان جورج جونسون يخرج من المنزل.

تعال بسرعة! لقد ضربت الرجل، ولقد تأذى كثيرا..  
ولماذا فعلت هذا بحق الجحيم؟  
لقد ضربني هو أولا.. سأتصل بالطبيب.. إذهب إليه.  
واتصل هيوغ بادوارد ميرديث، وأخبره دون أن يكون  
واضحا في كلامه، فقد أصيب بذعر طفل يحاول أن  
يشرح شيئا. وقال إدوارد: سأصل حالا.  
وعاد هيوغ ليساعد جورج.. وشاهده يحاول مع  
شخص آخر أن يدخل الرجل المنزل، ورجلاه تتدليان  
خلفه، وكان لونه أبيض كلون ورقة الكتابة، وغائب تماما  
عن الوعي.. وأدخله إلى المطبخ.. ووضع جورج، الذي  
يعرف القليل من الإسعافات الأولية، في كرسي مريح  
وربط له رأسه. إذ يجب فعل شيء ما لأيقاف نزيف الدم.  
وإذا استمر النزيف هكذا فسوف يموت سريعا. وأحس  
هيوغ بالسقام من الخوف والرغبة. ما هذه الأمسية!  
وصدمه أن صداقته لجورج قد تنتهي عند هذا الحد... ثم ماذا؟  
وانتظروا! سماع صوت سيارة إدوارد ميرديث، وكانت  
تلك الساقية من الدم الأسود تنساب من ذلك الرأس المهشم  
طوال الوقت والمتقد هيوغ يائسا: هذا هو الجحيم الصرف!

## أوقات عصيبه

فى كوخ جدھا، كانت لیدیا تعترف ببؤسھا الكامل  
لأدم. ولم یكن یرید أن یستمع إليها فى هذه اللحظات،  
فهو یحاول الإنتهاء من الشأى قبل أن یغیب ضوء النهار،  
إذ یرید الإنتهاء من تنظيف بعض الكراث فى السقفیه  
قبل حلول الظلام. وقالت له:

أشعر بأننى فى حال بائسة.

إنه یعرف مشاعرھا تماماً، فحیویة الشباب تترافق  
دوماً مع لحظات وخز ضمیر بائسة. فقد كانت لیدیا  
تحس أن الحیاة لا تستاهل العیش إذا لم تحصل على  
الشاب الذى تریده. وقال لها أدم:

إنظرى یا لیدیا.. إنه لیس الشاب الوحید فى العالم.

إنه الوحيد بالنسبة لى. لم يكن يجب أن أقضعه يتنكر  
هبلدا فى شياىى كما فعلت.. لقد بدا الأمر مضحكا  
ساعتها.. لقد كنت غبية.

هذا سخر، إذا كان لا يستطيع تحمل المزاح فى مثل  
عمره فهو غير جدير بك.. اصمتى الآن.

لقد سمع صوت جوان تعود إلى المنزل. ولاحظ من  
الاصوات أن أحدا معها. قالت ليديا:  
من هذا الذى معها.

وكان إدوارد ميرديث، التقاها فى طريقه وهو يخرج  
من المزرعة الحمراء.. وقالت جوان عند وصولها إليهما:  
لقد حصل حادث فى المزرعة الحمراء.

والحال اتسعت عينا ليديا، وقد خافت أن يكون هيوغ  
قد أصيب. وارثكب إدواره غلطة بأن قال الحقيقة. هيوغ  
قد ضرب رجلا متشرداً تقدم للعمل فى المزرعة، وأضاف:  
لابد أنكما سمعتما سيارة الأسعاف قادمة؟

وسألكه ليديا:

وهل إصابة الرجل سيئة؟



لقد أصيب بجرح بالغ وسى. لقد صدم دراسة حبوب  
هناك والحديد... حديد! وإذا مات فسيكون الشاب فى  
ورطة كبيرة. ولكنه كان حيا ساعة تركته، مع إنه ينزف كثيرا.

سأذهب إليه.. سوف يحتاجنى!

فمد آدم يده المتجعدة اللامعة البشرة ليمتعها:

إنظرى يا ليديا.. لا تبدأى بالتصرفات الغريبة! هذا  
من شأن جورج جونسون لوحده! وليس من شأنك.. ولا  
فائدة من حشر نفسك بهذا.

ولكن إذا كان فى ورطة فقد يحتاجنى.. وأريد أن  
أكون معه.

هناك نوعان من الورطات فى العالم، ورطة للرجال،  
وورطة للنساء... والنساء الحكيمات لا يحشرن انوفهن فى  
أشياء ليست من شأنهن، ويتركهن الرجال يهتمون  
بمشاكلهم.

ولكنه سيحتاجنى.

لن تجدى إنه لا يحتاج إليك كما تظنين. وما هو  
بحاجة إليه الآن رجل له رأس كبير يفهم بالقانون. لقد  
أذى غريبيا، وأرجو الله أن لا يموت هذا الغريب.. لأنه

عندها سوف يتورط.

وانفجرت ليديا ببكاء هستيرى فأخذتها جوانى بين ذراعيها لتهديتها.. شئ جميل حول جوانى، إنها لا تفقد صوابها بسهولة ودائما تتصرف كما يفعل والدها.

وأخذ آدم يفكر بفيلوميل لويس، وزوجها المريض..

رجل وامرأة.. وعلاقة حب، يمكن أن يتلاعبا مع الزمن، فلن يكون الأمر مهما.. ولكن عندما يكون هناك حياة جديدة فى الطريق لأن تولد، فهذا يجب أن يجعلهما يسيران حسب الساعة.

كان لا يزال جالسا يتحدث إلى ادوارد عندما وصلت السيدة هارت.. كانت تريد أن تتحدث إلى شخص ما.. فحسابات الطوابع لم تكن دقيقة وسوف تضطر لدفع الفرق من مالها الخاص لأن شيئا ما كان مخطئا فى تلك الحسابات. ولم يصدقها آدم، فما تريد أن تتكلم فيه لا علاقة له بالطوابع. لقد سمعت سيارة الأسعاف وتريد معرفة ما جرى بالتفصيل. فمصيبة السيدة هارت أنها لا تطيق أبدا أن تكون مقصرة فى معرفة أى أخبار.

إذا لقد حصل حادث مروع فى المزرعة الحمراء؟

وسمعت أن رجلا قد أصيب إصابة خطيرة.  
ولم يرد عليها ادوارد، وأعجب آدم بصمته...  
واستدارت إلى آدم.  
هناك شخص يريد أن يأتى ليبقى فى القرية لبعض  
الوقت إنه شاب قريب لى وكان مريضاً ونصحهُ الطبيب  
أن يمضى بعض الوقت فى الريف.  
أليس وقتاً غريباً للمجئ إلى الريف؟  
لقد كتبت أمه تسألنى إذا كان هناك من لديه غرفة  
فارغة له ويستطيع أن يطعمه، إنهم أثرياء ويستطيعون الدفع.  
وسألها آدم:  
أى نوع من الشبان هو؟  
إنه ابن لىلى.  
وتذكر آدم لىلى هارت عندما كانت شابة إنها أجمل  
بكثير من شقيقتها وطالما أعجب بها وتابعت السيدة هارت:  
إنه شاب جميل ومتعلم.  
أه...! وكم عمره؟  
تسعة عشر.

وفكر بغرفة النوم عند زاوية السلم. إنها غرفة صغيرة  
بالطبع ولكنها تكفى، ونظيفة. وستبقى نظيفة لأن جوانى  
نظيفة كراؤس الدبوس. وفكر بليديا، المتشوقة للحب..  
ويهرب العشاق، والفراغ فى حياتها.. فسأل:

وكم من الوقت سيمضيه هنا؟

أنت لا تفكر بتلك الغرفة الصغيرة عندك؟ حسنا.. إنها  
فكرة رائعة!

على أولا أن أسأل جوانى.

أنت تذكر ليلي أليس كذلك؟ لقد كنت شغوقا بها.. ألم تكن؟

لا أذكر شيئا من هذا.

إنه كاذب، ولكنه لا يريد أن تترك ألسن القرية مثل هذه  
الأمور، ولا يمكن له أن يثق بالسيدة هارت قدر أنملة.

إذهبى الآن يا إثيل.. وسأتكلم مع جوان. ستوصل  
إليك الخير صباحا.

وعندما ذهبت استدار الطبيب إلى آدم العجوز وقال:

أنت لا ترغب فى تأجير أحد هنا.. بالتأكيد؟

أنا أفكر بليديا.. ويبدو إنه شاب جيد..

أجل ولكن ما شأن ليديا به؟

إنه دم جديد.. هناك أوقات فى حياة كل إنسان يحتاج فيه إلى دم جديد. ودم جديد هو ما تحتاج إليه ليديا الآن. وإذا حصلت على شاب جميل وفى التاسعة عشر، فهذا سينجح. وإذا وافقت جوانى سأوافق.

ومرت لحظة صمت، وأخذ الطبيب يلعب بلقافة دخان أشعلها لتوه ثم هز رأسه وقال:

أنت عجوز عظيم!...

التهاب حنجرة تشارلز بدأ يقلق فيلوميل.. وأصبح قلقا، مما يظهر إنه يمر فى وقت عصيب.. ولقد عادا الآن إلى نقطة البداية. ولم يكن يشير إلى الصعوبات التى تواجههما.. سوف يترك الأمور تسير كما هى يراقب تغيرها أثناء الحمل، وسوف يتلقى الطفل وكأنه له. ولكن جدارا عاليا كان قد ارتفع بينهما.

ربما يكون أحد أوجه انجذابها لكلاين هو إنه دائم الحديث ولقد أصبحت تمل من هذا الصمت المطبق حول تشارلز. ورأى تشارلز أن القرية بحاجة إليه. فيجب أن يفعل شيئا لإيقاف ألسنة النساء المتسببة بكل هذه الفضائح.

ولكن بالنسبة له الصمت من ذهب وهذا أمر لا يستطيع تغييره.

وبتفكير فيلوميل فى الماضى أصبح واضحاً لها أنها كانت غبية لأن تترك زوجها يستمر كما بدأ. كانت وحيدة ولم تستطع أن تتقاتل مع تشارلز، كانت تعلم أنها تخافه، وتهتم به، وتكره أن تؤله، وتكره أكثر أن تتخلص منه من حياتها.. واستطاعت الآن أن تدرك أنه كان عليها أن تتصرف منذ البداية، عندما أطبق البرود أول مرة على قلبها. وتصاعد بؤسها من جراء عدم اكتمال حياتها.

كان آدم يجلس فى كوخه يشرب الشاي لوحده عندما سمع صوت سيارة تقف أمام بابه. ورأى سيارة صغيرة لماعة. وعلم أنها لابد أن تروق لليديا. وخرج منها شاب صغير جميل الطلعة له وجه مشرق وعينان زرقاوان. وأدم يحب العيون الزرقاء. ويكره العيون السوداء التى تشبه عينا عنزته.

وتقدم الشاب من الباب الخلفى.. ماذا يريد هنا؟  
وابتسم له الشاب المتمدن بأدب:

لدى رسالة من السيد آدم جايمس..

تفضل أدخل.

ودخل الشاب إلى الكوخ كان شابا لطيفا. وأدم يحب اللطفاء. وقال:

لقد أردت أن أعيش في مكان ما فيه حقول ريفية.. أهلى من الريف وأنا معتاد على حياة القرية. هذا مكان جميل.. إنه يعجبني.

أنا أتناول فنجان شاي وبعض البسكويت.. هل تشاركني؟ وأشار إلى الطاولة.

أنا سعيد لقدمك.

اسم الشاب كان بيرتى كلنت.. وأخذ أدم ليريه غرفة النوم ومع إنه قال أنها صغيرة، فقد بدا إنه لا يبحث عن مكان أكبر.

أنا أدرس تحضيراً لامتحاناتي، وأريد مكانا هادئا. وستناسبنى الغرفة إذا كنت لن أضايقك؟

سأسر جداً لوجودك هنا.

وعادا إلى تحت لأكمال فنجان الشاي. وقدم له بعض البسكويت الذي صنعه مود. وقبل أن ينتهيا، مد بيرتى يده وأخرج نقوده وأعطى أدم أربع قطع من فئة الجنيه:

لقد قالت أُمى أنك قد ترغب فى تأمين على الأيجار.

وما هو هذا؟

إنه شئ لثبات إنتى قادم حقاً.. هذا هو المكان المثالى لى، فلا شئ قد يبعد فكرى عن الامتحانات. سأحاول جهدى أن أنجح.

آه..!

وأخذ آدم يفكر بليديا.. وأعتقد أن من اللطف أن يعرض هذا الشاب المال عليه، فأخذه شاكرًا. وكانا قد اتفقا تماماً عندما سمع وقع أقدام امرأة.. وبعد لحظات دخلت ليديا. وكانت مهتاجة ولاشئ يماثل جمالها وهى مهتاجة بعمل ما.. وشك آدم فى إنها لم تلاحظ وجود بيرتى.. وقالت:

جدى.. لقد تركت حقيبتى فى المكتب وأنا ضائعة بدونها. ولن أستطيع إخبار أُمى ستغضب منى.. ماذا سأفعل؟ أظن أن عليك أن تتركها هناك هذه الليلة.

ولكن المكتب لا يزال مفتوحاً. وأستطيع الوصول فى الوقت المناسب.. وسأستعيد الحقيبة ولن تعرف أُمى.



وقدما لييرتي كلنت وقال:  
إنه قادم إلى هنا للسكن لفترة لأنه يدرس لأجل امتحاناته.  
وقال الشاب الوسيم:  
ماذا أقول.. لا أريد التطفل ولكن سيارتي في الخارج  
وأستطيع أخذك إلى المكتب بسرعة.. هل سيفيد هذا؟  
وأخذت عيناها ترقصان، وأدرك آدم أن نكري هيوغ  
بارتون وكل ما كان يعنيه لها قد ماتت دفعة واحدة وقالت بحياء:  
لا يمكن هذا؟ لا يمكن حقا!  
إذا كان جدك لا يمانع لن يستغرق الأمر دقائق، صدقاً.  
فقال آدم مداعباً:  
ولكن لا تسرع! الأفضل أن تتأخر وتبقيا سالمين من  
أن تسرعا ويصيبكما شيء.  
ولم يكن ليعتقد أن فكرته سوف تعمل بهذه السرعة.  
وهناك المزيد أمامه لا شك. فهذه مجرد البداية. بداية  
القصة (في يوم من الأيام) التي تهمة كثيراً. وأخذ  
يضحك لأنه لم يستطع منع نفسه عن الضحك. وبخلت  
جوان فجأة:

ماذا دهاك الآن يا أبى؟ هل هناك ما يضحك.  
ولم يقل لها. فهناك بعض الأسرار يجب على الرجل  
أن يستيقظها لنفسه.. واستمر فى الضحك.  
وكان على آدم فيما بعد أن يعترف بأنه منذ مجئ  
ببترتى ليسكن معه تلاشت كل عاطفة فى قلب ليديا تجاه  
هيوغ ولا شئ أرضاه أكثر من هذا. ما عدا إنه كان  
يتمنى أن لا تقاطع ليديا ببترتى فى دروسه. لأنها كانت  
ملتصقة هناك كثيراً. وذلك المساء تحدثا وهما يحتسيان  
الكاكاو قرب النار. وكانت جوان قد خرجت بالسيارة مع  
ادوارد ليذهب إلى تلك المزرعة ثانية. وقال ببترتى أن عمه  
يعمل فى إرسالية نائية فى جزء غير بعيد من العالم.  
هناك يستطيع الإنسان أن يقدم المساعدة للناس حقاً.  
إنه نوع من العمل سيناسب قسيسنا تماماً!  
ولكنهم لا يريدون زوجات هناك. وعمى يقول إنه عمل  
تكريسى.  
آه!  
إنه أمر وكائك كبرت مع شئ ما، ولا تستطيع  
الاستغناء عنه.

سأبلغ السيد لويس عنه.  
لن يقفز ليمسك بها.. فالمكان هنا مريح أكثر بكثير له.  
ربما ليس مريحاً كما يبدو.  
فى اليوم التالى أقبل كلاين ستيغنز باكراً، واختلى مع  
فيلوميل فى غرفتها يتكلمان ثم ذهب كلاين إلى تشارلز  
واختلى معه لمدة ساعة.. لابد أن هناك شيئاً يجرى!  
وأخذ آدم الجطب إلى باب المطبخ حيث سمع صوت  
فيلوميل تبكى فى غرفتها.. كانت تبكى بحزن امرأة  
بطريقة طفولية. ستلد طفلها هنا بالطبع.. وستسعد به،  
وسوف يتقبله الناس على أنه ابن القسيس.  
كلاين جاء اليوم وهو يصمم على أن ينهى الأمر مع  
تشارلز. وراقبتهما من غرفتها وهما يسيران فوق المرحلة.  
كانت تعرف عما يتكلمان وهذا ألها. فالرجل الذى يحبها  
بعمق، يتوسل لأجل قضيتها، والرجل الذى يظن نفسه أنه  
الأساس يحس إنه مخطئ، ولكنه يبقى صامداً. فتشارلز  
لم يكن يدرك أبداً ماذا فعل. ولن يدرك أبداً.  
وتساءل آدم ما إذا كان عليه الذهاب إلى تشارلز  
لويس ليطلب أجره فهذه ليلة القبض، ولكنه لم يكن ليفعل.

هذا. وتقدم من الباب الخلفى فسمع كلاين يتحدث إلى فيلوميل... لقد توقفت الآن عن البكاء، وسمع صوت التيسيس يقطع الردهة.. لقد ذهب ونسيه...

شئ واحد لا يمكن لأدم أن يتسامح فيه... أجره، لقد استحق أجره وهو يريد ماله. وصعد السلم الحجرى نحو الباب، ونظر عبر الزجاج. ولم يشاهد أحداً... فدخل ، ليجد أن تشارلز قد ترك باب غرفة مكتبه مفتوحاً.. فتقدم من الباب ودق عليه.

أدخل! أوه.. هذا أنت يا أدم؟

إنها ليلة القبض يا سيدى.

يا إلهى! صحيح! أنا آسف ولكننى نسيت تماماً. لقد حدثت لى مشاغل أخرى.

ومد يده إلى جيبه وأخرج حفنة من النقود الصغيرة، ولكنها لم تكف، فأخرج علبة نقود من الدرج. ولم يكن فيها الكثير، لابد إنهم لا يدفعون جيداً لهؤلاء القساوسة المساكين، ويبدو أن تشارلز عرف ما يجول بخاطر أدم فقال له مبتسماً ابتسامة ساحرة:

أنا لا أدفع لك ما يكفي يا آدم.

هذا يكفي يا سيدى.

أحيانا أفكر ما إذا كنت قد أخذت المهنة الملائمة لى.

لقد وجدت هذا الإعلان فى المهملات يا سيدى.

آه هذا! حسناً لأقل لك الحقيقة يا آدم.. لقد علمت  
بأمر هذه الوظائف وكتبت لهم. إنهم يريدون من يعمل  
معهم يريدون كثيراً من الرجال، حتى إننى رغبت، وكدت  
أذهب إلى هناك. لقد كنت مغرماً جداً بأفريقيا.

إنه يبدو مكان جميل يا سيدى. إنهم يبتون أزهاراً جميلة.

أجل.. أجل.. كنت أحب أن أذهب.. إنه عمل عظيم  
ولكنهم لا يسمحون بذهاب الزوجات.. ولهذا فالعمل هناك  
ليس جيداً للمتزوج.

كان تشارلز يعلم أنه محق بأن فيلوميل مخطئة تماماً،  
وكان ينحى باللامة عليها عندما تبكى.. فالجنس أمر  
بشع.. وها هى فى الحقيقة تبكى الآن فى غرفتها.. وعينا  
آدم قالتا له هذا، واتهمناه، وهنا أدرك تشارلز لويس  
تماماً ضعفه، وقوة هذا العجز العظيم. وأصابته صدمة

قاسية. ها هو يجلس فى مكتبته وأمامه التمثال المقدس الذى أهدته اياه زوجته فى أول عيد ميلاد يمر بهما فى زواجهما وقالت له (كل منا عليه أن يحمل صليبه) وكانت تحاول جاهدة أن تبدو شجاعة. لقد أدرك هذا الآن. ولايد إنه تغير ليدرك هذا. وصدق الرجلان ببعضهما .. ولأول مرة أدرك تشارلز لويس ما يجب عليه أن يفعل. وسأل:

أتظن .. أن على السفر يا آدم!

أظن إنهم بحاجة إليك هناك يا سيدى.

ولا يريدنى أحد هنا؟

وبدا صوت تشارلز مريرا . فأجابه آدم بصوت رقيق:

ولا يريدنى أحد هنا؟

وبدا صوت تشارلز مريرا . فأجابه آدم بصوت رقيق:

القرية تحبك يا سيدى.. وأنت قريب من قلوبنا، واحد منا. ولكن هذا ليس كل شئ. فهناك المزيد يا سيدى، أكثر بكثير. وأنت تعرف هذا.

وصمت الرجل الجالس فوق طاولته، والمحفظة فى يده وأحس بالحياة تتغير. وفى ذلك الصمت رأى بابا يفتح،

وتذكر بوضوح أن والده قال له يوما: (ليس هناك من عار  
أن تفعل ما هو صحيح، مهما كان). وهذا صحيح. ليس  
من العار أبدا ... وقال لأدم:

أتظن أن علي أن أرحل؟

ليس علي أن أظن يا سيدي... ولكن .. علينا أن نفعل  
ما هو صواب يا سيدي، كلنا، الصواب هو المطلوب منا،  
وأن لا نترك الآخرين يتعذبون بما نفعله.

وتمنى لو أن تشارلز يدفع له ماله ويتركه يذهب، فقد  
بدأت الأمور تصعب. وقال تشارلز:

أنت تعرف أكثر مما تصرح به.

ولم يرد العجوز فالصمت دائما هو السيد، وطارت  
بينهما ورقة الدعاية، التي عليها الفتيات الراقصات،  
والأزهار الجميلة، والخط الساحلي... ومد تشارلز يده  
ليلتقطها وقال:

كنت أتمنى لو أنني أعلم...

أنت تعلم الآن يا سيدي، وكلنا نعلم ما هو الغلط وما  
هو الصواب، ولكننا نحب دائما ما نعلمه.

باركك الله يا آدم.

شكرا لك يا سيدى.

وخرج... وبمروره بغرفة الجلوس سمع أصواتاً. وكان عليه أن يقطعها.. فدفق الباب وقالت فيلوميل:  
أدخل.

ودخل آدم.. ولم تحاول أن تخفى بكائها عنه ولم يستطع تحمل النظر إلى عينيها، منذ سنوات بعيدة شاهد أديث الحبيبة تبدو هكذا. وذكرى أديث لا زال لديها القوة لأن تؤله فقال:

لا بأس عليك يا سيدتى.. أظن القسيس يريد رؤيتك.. أظن.. ثم.. ولأنه لم يعد يجرؤ على قول المزيد.. خرج.. وترك المنزل.. وكان الظلام قد حل.

جوان كانت تحضر الشاي، وليديا وبيرتي هناك، وأربعه تعرف على صوت أديث هارت أيضاً. بعض الأحيان كان يؤله أن هارى لا يأتى إلى منزله كثيراً. وكان الحديث دائراً، وكانت السيدة هارت تقول:

ليس من اللائق ارتداء الأبيض فى زفافك وأنت بهذا



العمر. فالناس سيتكلمون. الفتيات وحدهن يلبسن الأبيض  
في زفافهن، وأنت قد تجاوزت هذا السن يا جوان.  
أنا كنت دائما أحلم بالأبيض.  
وأحس والدها برنة حزن في صوتها. فدخل وعلق  
قبعته خلف الباب، وخلع معطفه وسأل السيدة هارت:  
والآن ما كل هذا الكلام هنا؟ ماذا تفعلين هنا؟ أريد  
أن أشرب الشاي وأنا هادئ.  
وسألكه ادب هارت بسرعة وقد غضبت:  
أتريدني أن أذهب؟  
حسنا.. أريد الشاي.  
ولكن هل أوقفتها خشونته عند حدها.. ابدا.. وقالت:  
هناك كلام سخييف يجرى هنا. جوان تريد ارتداء ثوب  
أبيض للزفاف. ولكنني أظن أن ثوب خروج يكفى، فالثوب  
الأبيض سخييف.  
جواني ترتدى ما ترغب به لزواجها.. فهذا اختيارها،  
وليس اختياري.

أنت تعنين أنك أنت السخيفة.  
وردت عليه بسرعة.  
إذا كنت ستكون فقط معي...  
فأسرع ليفتح لها الباب.  
لقد انتهى الأمر... أنا أريد شرب الشاي.  
وخرجت من الباب بغضب وهي تتمتم لنفسها، ولكن  
آدم لم يأنه لها.. وأقفل الباب وراءها، إذ يجب أن يعطيها  
هذه اللطمة القاسية الإضافية التي كان ينويها منذ زمن،  
وقالت جوان:  
اوه.. أبي!  
سوف يعلمها هذا درساً!  
ربما تكون على حق.. فالأبيض للفتيات، ولست صغيرة الآن.  
واستدار إليها وقال:  
الحب هو أجل شيء في هذه الدنيا. وإذا قبلت  
نصيحتي ارتدى له أجمل الثياب، أعطيه الأفضل. وسوف  
يعطيك ما تشائين. فادوارد سيحب أن يراك في أفضل

حالاتك. بالطبع.

وأخذ فنجان الشاي ورفعته وكأنه يشرب نخباً:

نخب زواج جوان! وليكن حفل زفافها الأجل في هذه  
القرية حتى ولو كلفني هذا آخر قرش أملكه..

فقال جوان:

اشكرك يا أبي.. لقد اشتريت لك ليدياً شيئاً، فطيرة  
لحم بالبيض. الذي تحب.

وهل فعلت هذا؟

وفي منزل القسيس انفجر الشجار ثم تلاشى..

وذهب كلاين إلى بيته.. وغداً ستوضب فيلوميل  
حقائبها. وإن تعلم أبداً ما الذي غير تشارلز. ولا كيف  
أحست فجأة إنه رجل عظيم. تأثرت كثيراً عندما قال لها  
إنه سيتخلى عن الحياة الدنيوية، وسيسافر على الفور.  
وهو سيحررها من التزاماتها الزوجي معه حتى تتابع  
حياتها. ورجته أن يبقى... ولكنه مد يده وهي ترتجف بحدّة:  
لا.. لا تفعل هذا.. لا ترجيني.

وتلاشى الضباب من فوق الحقول، وأخذت النجوم  
تغمز بعينيهما في كبد السماء. إنها ليلة جميلة.. سوف  
تكره أن تترك القرية وخاصة أن تفترق عن العجوز آدم  
العزیز.  
ووقفت تصدق في الحقول والوديان، ثم أحست  
بالارتياح يغمرها.. وراودتها فكرة.. فقالت لنفسها:  
(لو أن المولود كان صبيا فسأسميه آدم).